

جامعة الخرطوم
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الإمام ابن عامر: قراءته وتوجيهها

(8- 118 هـ)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالب : عبد المجيد أحمد الشيخ إدريس

إشراف دكتور : أحمد حسن علي

ذو الحجة : 1427هـ

الموافق ديسمبر: 2006 م

الآية

قال تعالى:

{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ }

سورة الحجر
الآية (9)

الإهداء

إلى الأحمدين:

أحمد: والدي

أحمد: ولدي

أحمد: أستاذاً

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أشكره على جزيل نعمائه، وأحمده حمد
الذاكرين الشاكرين، تفضل ووهب وسدد ووفق، الحمد له حمداً يليق بجلال وجهه
وعظيم سلطانه. والصلاة والسلام على رسول الله .ع.

يقول الرسول ﷺ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)¹ فإنني أتوجه بشكري
وتقديري لكل من ساهم في أن يرى هذا البحث النور بكلمة، أو بإقتراح، أو بنقد،
أوبفكرة. وعظيم شكري يذهب لأستاذي وشيخي د. أحمد حسن علي لما قدمه لي
من نصح، وإرشاد، وتوجيه كانت ثمرته هذه الدراسة المتواضعة، فما فتى أستاذي
-وبصبر واحتمال- ينقح ما شاب هذا البحث من أخطاء، ويقوم ما إعوج فيه من
فهم وفوق ذلك كله كم ساعدني تواضعه على الإفادة منه رغم كثرة مشاغله وقد
فتح لي مكتبته العامرة وجاد وما بخل، فجزاه الله -سبحانه وتعالى- عني خير
الجزاء.

كما أوجه ركب شكري إلى أسرة مدرسة واوسى الثانوية للبنين يمثلهم الأستاذ/
علي عبد القادر شيخ إدريس لتعاونهم معي حتى أكملت هذه الدراسة وما وفروه
لي من وقت وجهد . وشكري لا يخطئ الأستاذ/ عمّار الخليفة الذي منحني أعلى
وقته وصبر معي في طباعة وإخراج هذا البحث. كما أشكر أسرة المعهد العالي
لعلوم الزكاة الذين أتاحوا لي فرصة إستلاف المراجع.

ولا أنسى زوجي أم سلمة ، فلکم صبرت على صمتي معها وإنشغالي بالكتب
فجزاها الله خير الجزاء.

أخيراً أكرر جزيل شكري لكل هؤلاء والله أسأل أن يتقبل من الجميع سعيه.

م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله أجمعين محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

فهذا بحث في القراءات القرآنية، بحثت فيه قراءة واحد من الأئمة السبعة القراء هو الإمام ابن عامر اليحصبي الدمشقي، وبينت سند قراءته وصحته وإتصاله بالنبي ﷺ وأنه قرأ على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي الذي قرأ على عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أنزل الله في شأنه قوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِئٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ.....)¹

عالجت في هذا البحث قضية أثارها بعض المفسرين وأهل النحو الذين وقفوا من بعض القراءات مواقف خاطئة فصاروا يقدّمون قراءة على قراءة ويرفضون قراءة إمام من الأئمة بدعوى أنها خرجت عن أساليب العربية، وأنها ليست على الألفى والأشهر في الأقيسة والإستعمالات، الأمر الذي كان في بداية أمر القراءات والذي حتم جمع الناس على إمام واحد يأتّم الناس بقراءته وإننا هنا نذكر بعضاً من أئمة التفسير كالإمام محمد ابن جرير الطبري في تفسيره (جامع البيان) الإمام الزمخشري في (الكشاف) والإمام ابن خالويه في (الحجة) ونستشهد بنماذج لتخطئتهم قراءة ابن عامر وردّها وتفضيل غيرها، وبالمقابل نذكر رد أئمة آخرين عليهم منهم أبو حيان الأندلسي في (البحر المحيط) وابن الجزري في (النشر).

انتهجت في دراستي لقراءة الإمام ابن عامر عدة مناهج: منها المنهج التاريخي في الترجمة والسير للأعلام المذكورين في جنابات هذا البحث، ثم إنني استقصيت قراءة الإمام ابن عامر في منهج إستقرائي وقفت فيه على تفاصيل حرف² الإمام

¹ سورة الزمري 9

² المقصود بالحرف هنا إختيار ابن عامر في القراءة.

ابن عامر، قسمت البحث إلى خمسة فصول ففي الفصل الأول: تعرضت لسيرة الإمام ابن عامر وترجمته واستهديت بكتب السير والتراجم وفي الفصل الثاني: بحثت في مباحث تمهيدية للقراءة والقراء كما إقتضت طبيعة هذا البحث، ناقشت فيها تعريف القراءة وأردفت ببيان أقسامها وشروطها. كما ترجمنا للأئمة القراء ورواتهم.

وفي مبحث أخير وقفنا فيه مع قضية الأحرف السبعة وكيف أنها كانت مصدر إعجاز عظيم.

وفي الفصل الثالث: تحدثنا عن بلاد الشام موطن إمامنا تناولنا بداية الحركة العلمية في العصر الأموي ولم نغفل تاريخها وذكر أهلها من الصحابة والتابعين في بلاد الشام ومدخلا لقراءة إمامنا ابن عامر ذكرنا نماذج لقراءات الصحابة التي شكلت فيما بعد قراءة ابن عامر وشيّدت معالمها.

وفي فصل رابع: من هذا البحث بحثنا وبدراسة متأنية قراءة إمامنا ابن عامر وشرحنا حروفه واختياراته واخترنا سورتي البقرة وآل عمران ميداناً لقراءة ابن عامر لسببين أحدهما: أنهما من السبع الطوال الأمر الذي يفسح المجال لإبراز الوجوه المتباينة والنماذج المختلفة. والثاني: لبركتهما هذه السورة وأنهما تشفعان لصاحبهما وقد روى الترمذي عن أبي هريرة τ قال: (بعث رسول الله ρ بعثاً وهم ذوو عدد، فاستقرأهم حتى أتى على أحدثهم سناً فقال: أما معك يافلان قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة قال: أمعك سورة البقرة؟ فقال: نعم. قال: فاذهب فأنت أميرهم)¹.

إننا نجد أن الدراسة في هذا المجال المعرفي نزره يسيرة، خاصة في جامعة الخرطوم، إذ لا يوجد تخصص مباشر لعلم القراءات فهناك بكلية الآداب رسائل لم تنشر بعد منها رسالة دكتوراة في الإمام الكسائي وأخرى في الإمام عمرو بن العلاء. وقد أشرف د. الحبر يوسف نورالدائم في عام 1985م على دراسة ممتازة

¹ سنن الترمذي 5/156.

للدكتور أحمد إسماعيل البيلي (إختلاف القراءات) لنيل درجة الماجستير وهو بحث جامع، وقد ألف أرجوزة في أوجه الأحرف السبعة سماها (الجُمَانَة).

أما الصعوبات التي تعترض الباحث في مثل هذا النوع من البحوث فهي عديدة : منها ما يتعلق بقلة الدراسات التي تحلل، وتختصر، مؤلفات المتقدمين وهي - الحمدُ لله - وافرة كثيرة، إلا أنها تضطرب بالأقوال المتداخلة، والآراء المتباينة وبعضها يكتنفه الغموض.

دفعني للبحث في هذا الموضوع المبارك، رغبتني في الإجابة عن سؤال كان يلازمني منذ سنِّي الصبا، فقد كنت أسمع من الإمام وجوهاً غريبة في تلاوته، أسأله عنها يقول لي: روايات فحسب ثم لفت نظري اتجاه عالمنا عبد الله الطيب -رحمه الله- إلى تفسير القرآن الكريم، بعد أن امتلك ناصية اللغة العربية وأنا استمع إلى برنامجه الإذاعي في تفسير القرآن الكريم كنت أتساءل ما علاقة ذا بذا؟. وعندما أردت الإعداد لرسالة الماجستير كنت محظوظاً بتوجيه أستاذي د. أحمد حسن قرينات. أن أبحث في موضوع القراءات فكان إنشراحي عظيماً، إذ صادف هوى في نفسي.

ودراسة القرآن وقراءاته عبادة مباركة تبعث في النفس الراحة والإطمئنان (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) ففي إضطرابات الحياة وتموجاتها تجد في القرآن الكريم خير معين للإحساس بالسعادة والبهجة وأنت تسرح بروحك في عوالم لا متناهية ترفرف في سماوات الطيبين. ويكفيك فخراً أنك تكون من أهل الله وخاصته.

والله وحده أسأله القبول:
وما من كاتبٍ إلا سيفنى
ويبقى الدهر ما كتبت يداهُ
فلاتكتب بكفك غير شيء
يسرك في القيامة أن تراه¹
وأحسب أنني بذلتُ فيه جهدي، فإن أصبت فمن الله تعالى كان التوفيق
والصواب، وإن أخطأت فمن نفسي الأمانة بالسوء والشيطان . والله أسأل أن يجبر
زلتي ويمحو خطيئتي وأن يوفقنا إلى ما يحب فيرضى.

الباحث

¹ ديوان الإمام الشافعي راجعه زهدي يكن دار يكن للنشر 1380هـ (د.ت. ط.) ص25

Abstract

This treatise tackles the grammatical evidential quotations in the two Surats (chapters) of Al-Baqarah (the Cow) and Al-'imran, as in the manners of recitation (Ahruf) of Ibn 'Amir as narrated and reported by the authority Imam: Ibn Mujahid. Such accurate and genius work of this Imam is not limited to such two Surats, but is applied to the whole chapters of the Quran, with all of the rest of the famous seven imams of the Quran manners of reading or (Qira'at). The subsequent scholars of such Qira'at have followed his example or imitated him in the establishment and clarification of such qira'at.

The study has reached a very important result. It is that such differences in writing, letter addition or omission, derivation, usages of verbs, morphology, syntax, etc... are mainly attributed to some reasons, the important of which are three:

1. The way in which Uthmani copy of Quran was written as to vowels and dotting.
2. The diversity of the sources (the Prophet's companions) from which Quran readings were taken, where some Syrian Quran readers would conjugate or join the hearing from their authorities and copying form Uthmani Copy of the Quran.
3. The difference between the languages and dialects of the tribes, where some of the Syrian Tabi'een (The generation of the scholars followed that of the Prophet's companions) used to read some locations in the Quran in the same way as they pronounce them in their own language or dialect.

الفصل الأول

وفيه مباحث:

- سيرة الإمام ابن عامر وترجمته
- شيوخه
- معاصروه
- تلاميذه
- مكانته العلمية
- مؤلفاته
- وفاته

أولاً: سيرته:

هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر اليحصبي المقرئ¹ دمشق. يُكنى بأبي عمران (على الراجح) من الكنى العديدة التي اضطربت بها كتب التراجم والسير². وفي أكثر الروايات أنه عربي أصيل، قال الداني³: (ليس في القراء السبعة من العرب غيره وغير أبي عمرو والباقون هم موالي) وقال ابن الجزري⁴: (هو عربي صريح من صميم العرب). قال الشاطبي⁵:

أبو عمرهم واليحصبي بن عامر صريحٌ وباقيهم أحاط به الولا

وفي بعض الروايات أنه من موالي حمير، وأُتهم في نسبه إلى العرب من ذلك رواية معاصره الهيثم بن عمران الدمشقي⁶: (كان عبد الله بن عامر رئيس أهل المسجد زمان الوليد بن عبد الملك وكان يزعم أنه من حمير، وكان يُغمز في نسبه).

الإمام الذهبي في تاريخه يرجع دواعي هذا الإتهام في نسب هذا الإمام القاضي العربي الخالص الأصيل، إلى الوضع الاجتماعي، والسياسي لأهل مدينة دمشق في ذلك الزمان، وأشار هذا الإمام الجليل إلى العصبية القبلية وتمكن روح الجاهلية من بعضهم والحمية الأعرابية وكيف أنهم أرادوا - حسداً منهم - صرف ابن عامر عن إمامة مسجد دمشق ورعايته له ، لذلك إدعوا عليه إدعاء يقلل من شأنه ومكانته وزعموا أنه دعي ملصق⁷.

ويظهر الحق جلياً عندما نلاحظ ومن طرف قريب تلك المنافسة والمجاراة بين العرب الذين فتحوا الشام واستقروا بها وبين العرب الذين هاجروا إليها واستوطنوها قبل الإسلام في جاهليتهم والحقيقة التي توضحها كتب التاريخ والقبائل والبلدان أن بني يَحْصُب ممن

¹ ابن الجزري: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ، غاية النهاية في طبقات القراء دار الكتيب العلمية بيروت ط 1982م / 1 / 535.

² الذهبي: شمس الدين بن محمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ط 1 مؤسسة الرسالة بيروت 1996م تحقيق د. بشار عواد . 132 / 9.

³ الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد، التيسير في القراءات السبع طبع اسطانبول 1920م ص 6.

⁴ النشر / 2 / 263

⁵ ابن القاصح: علي بن عثمان بن محمد بن أحمد سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي في شرح حرز الأماني العلوية في القراءات السبع المروية على منظومة القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي تحقيق أحمد القادري، دار سعد الدين دمشق ط 1 1994م ، الشاطبية / 1 / 34.

⁶ ترجمته في الجرح والتعديل / 4 / 82

⁷ ابن حجر : تهذيب التهذيب / 5 / 274

أستوطن الشام من حمير قبل الإسلام . وتذكر أيضاً أن عبد الله ابن عامر اليحصبي ولد في قرية (رُحاب)¹ بالشام قبل الإسلام فكأن إسلام العرب الفاتحين قلل نظرهم لإخوانهم المستوطنين منذ الجاهلية فأحقروا من شأنهم فكان هذا الإتهام في نسب ابن عامر كما كانوا يعيرونهم بخضوعهم للروم فسموهم بالعرب المنتصرة في إشارة الى نصرانية² الروم كما أطلقوا عليهم أيضاً مصطلح العرب المستعربة³ بمعنى أنهم يتمنون لو كانوا عرباً.

ثانياً: مولده:

هنالك روايتان في سنة ميلاده، الأولى: رواها تلميذه خالد بن يزيد بن صالح المري المتوفي في ست وستين ومائة⁴ أنه سمع ابن عامر يقول⁵: (ولدت سنة ثمان من الهجرة في (البلقاء) بضیعة يقال لها (رُحاب)، وقبض رسول الله ﷺ ولي سنتان، وذلك قبل فتح دمشق، وأنقطعت إلى دمشق بعد فتحها ولي تسع سنين). والرواية الثانية: رواها تلميذه يحيى ابن الحارث الزماري الدمشقي⁶ فذكر أنه ولد سنة إحدى وعشرين، ونرجح مع ابن الجزري⁷ الرواية الأولى لثبوتها عن صاحب الشأن والله تعالى أعلم.

ثالثاً: شيوخه:

في مسجد دمشق تعلم ابن عامر على كثير من الصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعين، روى عنهم الحديث. وقد كان مقلاً فيه لدواعي لا نعلمها وبرع في قراءة القرآن عليهم. قال البخاري: (سمع معاوية، روى عنه ربيعة بن يزيد، وجعفر بن ربيعة). وقد وصفه ابن سعد بأنه: (قليل الحديث)⁸.

¹ غاية النهاية في طبقات القراء 1 / 425

² فتوح الشام للأزدي 84، 169، 175 - كتاب الفتوح لابن أعم 1 / 125 - تاريخ دمشق 1 / 392

³ فتوح البلدان للبلازري 1 / 135 .

⁴ التاريخ الكبير 2 / 181 - تهذيب تاريخ بن عساكر 118 - تقريب التهذيب 1 / 220

⁵ غاية النهاية في طبقات القراء 1 / 425

⁶ السابق نفس الصفحة - تهذيب التهذيب 5 / 174

⁷ غاية النهاية في طبقات القراء 1 / 425

⁸ طبقات بن سعد 7 / 449 - تهذيب 5 / 116

وأما القرآن فابن عامر يستنفر له نفسه، وانقطع لقراءة القرآن حتى عُرف بقراءته ، يعينه في قراءة القرآن أئمة أجلاء في القراءة والإقراء. والآن يلطف بنا التعرف على شيوخه والترجمة لهم.

1) المغيرة بن أبي شهاب المخزومي الدمشقي:

هو المغيرة بن أبي شهاب بن عبد الله بن عمر المغيرة بن ربيعة بن عمرو المغيرة بن ربيعة بن عمرو مخزوم أبو هاشم المخزومي¹ المتوفي سنة إحدى وتسعين، وروى ابن مجاهد البغدادي المتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة² عن أحمد بن محمد بن بكر مولى ابن سليم³ عن هشام بن عمار السلمي الدمشقي المتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين⁴ عن عراك بن خالد بن يزيد المري الدمشقي المتوفي قبيل المائتين⁵ عن يحيى بن الحارث الزماري الدمشقي المتوفي سنة خمسة وأربعين ومائة قال⁶: قرأت على عبد الله بن عامر اليحصبي، وقرأ عبد الله علي المغيرة بن شهاب المخزومي، وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان⁷ وقال هشام بن عمار⁷: (حديث عراك هذا عندنا أصح).

وهذا هو السند الصحيح الذي اعتمد عليه (مسبع السبعة) ابن مجاهد وبه جعلوه إمام أهل الشام في القراءة.

رغم أن الإمام محمد بن جرير الطبري من علماء القراءات الذين إمتلكوا ناصية اللغة العربية لغة ونحواً وصرفاً وبلاغة إلا أن له هفوات وسقطات لا تتصور إلا بتأمل، أنها تصدر ممن هو في جلاله قدره وسمو مكانته. ومن هذه السقطات في كتابه (الجامع): طعنه في سند قراءة عبد الله بن عامر اليحصبي التي أثبتتها ابن مجاهد في كتابه العمدة⁸ في ضربه الأصيل في منبعه (كتاب السبعة في القراءات) نجد أن الطبري يشكك في سند قراءة ابن عامر ثم يذهب أبعد من ذلك فهو يخرج ابن عامر من أئمة القراءة السبعة جملة

¹ ابن الجزري غاية النهاية 1 / 205

² الفهرست 47 - تاريخ بغداد 5 / 56 - معجم الأدياء 2 / 116

³ ابن الجزري غاية النهاية في طبقات القراء 1 / 108

⁴ طبقات ابن سعد 7 / 473 - التاريخ الكبير 4، 2، 199 - غاية النهاية 2 / 354

⁵ غاية النهاية لفي طبقات القراء 1 / 511 - النشر 1 / 144 - تهذيب التهذيب 7 / 171

⁶ كتاب السبعة في القراءات 86

⁷ كتاب السبعة في القراءات 86

⁸ كتاب في القراءات 101

وتفصيلاً ، زاعماً أن قراءته قراءة شاذة غير متواترة لا يعرف مصدرها وأصلها ولا يتصل سندها بالرسول ﷺ وأن من رووها عنه ، مغمورون مجهولون يقول¹ : (زعم بعضهم أن ابن عامر قرأ على المغيرة عن عثمان وهذا غير معروف لأننا لا نعلم أحداً قرأ على عثمان ولو كان سبيله في الانتصاب أخذ القرآن كان لاشك قد شارك المغيرة معه غيره ،.....، وفي عدم مدعى ذلك دليل واضح على قول من أضاف قراءة ابن عامر الى المغيرة والذي حكى ذلك رجل مجهول يقال له: عراق بن خالد ذكره عنه هشام بن عمار ، ولا نعلم أحداً روى عنه غير هشام).

هذا - لعمرى - مذهب هذا الإمام وكان حري به أن يتورع ويترك هذا الحكم في تجريح إمام قارئ اتصل سند قراءته بالسماع والمشاهدة حتى منتهاه. وهنا أدع المقام لإمام جليل خبير بهذا العلم هو ابن الجزري ليتولى الرد على طعن الطبري إذ يقول ابن الجزري²: (انظر إلى هذا القول الساقط من مثل هذا الإمام الكبير لاجرم ان الإمام الشاطبي كان يحذر من قول ابن جرير هذا ، وقال هذا قول ظاهر السقوط فقوله : (لا نعلم أحداً قرأ على عثمان) فغير صحيح فإن أبا عبد الرحمن السلمي قرأ عليه وروى أنه علمه القرآن، وقرأ أيضاً على عثمان أبو الأسود الدؤلي، وروى الأعمش عن يحيى بن وثاب ابن زر بن حُبَيْش الأسدي الكوفي، ثم لا يمتنع أن يكون عثمان أقرأ المغيرة وحده لرغبة المغيرة في ذلك إليه او أراد عثمان أن يخصه وقال أبو عبد الله بل يجوز أن يكون قرأ على عثمان جماعة القرآن لكنهم ما انتصبوا للإقراء وقد كان يقرأ القرآن في ركعة وهذا يدل على صبره على كثرة التلاوة، فما المانع أن يعرض عليه أكثر من واحد في المدة اليسيرة وقوله في عراق (مجهول) فليس ذا شيء، بل هو مشهور قرأ عليه الربيع بن تغلب أيضاً وسمع منه جماعة، وقال الدارقطني: (لابأس به قلت: وقد روى عن عراق عبد الله بن ذكوان ومحمد بن وهب بن عطية).

¹ ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء 2 / 305

² غاية النهاية في طبقات القراء 1 / 306

2/ أبو الدرداء الانصاري (ت 32):

قال الداني في معرض حديثه عن شيوخ ابن عامر¹: (منهم أبو الدرداء عويمر ابن عامر صاحب النبي ع وقال ابن الجزري²: (قرأ علي أبي الدرداء , , فيما قطع الداني وصح عندنا عنه) وروى ابن عساكر³ بسنده عن مسلم ابن مكشم الدمشقي وهو كاتب أبي الدرداء أن ابن عامر قرأ علي أبي الدرداء.

وكان أحد العرفاء⁴ المقرئين النابهين في حلقاته : يقول : (كان ابن عامر مقدما فيهم من الروايات الجيدة التي أثبتت قراءة ابن عامر علي شيخه أبي الدرداء ما نقله ابن الجزري أيضاً عن سويد بن عبد العزيز⁵ مولي بني سليم الدمشقي المتوفي سنة أربعة وتسعين ومائة أن ابن عامر قرأ علي أبي الدرداء وعرض عليه القرآن وعلم في حلقاته، ثم أصبح شيخ الإقراء بعده يقول⁶ : (وكان ابن عامر عريفا لعشرة، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر).

أما قراءة ابن عامر علي الخليفة الراشد عثمان بن عفان ففيه نظر، أصح الروايات وأثبتها في ذلك رواية عراق بن خالد عن يحيى بن الحارث الذماري التي تفيد أن ابن عامر لم يقرأ علي عثمان، بل قراءته عن طريق المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، لأنها أوثق وأعلي وأثبت⁷، أما رواية الوليد بن مسلم عن يحيى ابن الحارث فقد ضعفتها هشام وردھا العلماء⁸.

¹ التيسير ص 9 – شذرات الذهب 1 / 156

² النشر 1 / 144

³ تاريخ دمشق 1 / 315

⁴ العرفاء جمع عريف وهو مرتبة في الخلاوى أدني من المقرئ

⁵ طبقات ابن سعد 7 / 470 – طبقات خليفة بن الخياط ص 813

⁶ غاية النهاية في طبقات القراء 1 / 606

⁷ كتب السبعة في القراءات ص 86

⁸ كتاب السبعة في القراءات ص 86

(3) النعمان بن بشير:

وهو من شيوخه الذين حدث عنهم ، سمع من النبي ﷺ وحدث عنه ابنه محمد، والشعبي، وحמיד بن عبد الرحمن الزهري¹ قال مسعر عن سعيد بن عبد العزيز: (كان قاضي دمشق بعد فضالة بن عبيد²) ذكرت كتب التراجم أنه مات مقتولاً في آخر سنة أربعة وستين).

(4) فضالة بن عبيد الأنصاري :

يذكر الإمام الذهبي من سيرته أنه (شهد أحداً وولي قضاء دمشق³) وابن كثير يقول إنه: (شهد بيعة الرضوان⁴) بيد أنه مات سنة ثلاث وخمسين⁵.

رابعاً: معاصروه:

يزيد بن مالك ، والهيثم بن عمران الدمشقي ، والوليد بن عبد الملك، وربيعه بن يزيد. وستأتي ترجمتهم جميعاً إن شاء الله.

خامساً: تلاميذه:

مثلما أكبّ ابن عامر على شيوخه جاداً ومجتهداً فحصل على علم وافر في القراءة والإقراء، إنكب عليه خلق كثير ارتووا من معينه وارتشفوا منه علماً غزيراً كانوا أعمدة قراءته فيما بعد وأعلامها المرفرفة فكان من أشهرهم:

(1) يحيى بن الحارث الذماري:

وهو يحيى بن الحارث بن عمرو بن سليمان بن الحارث أبو عمرو الغساني الذماري⁶، إتفقت المصادر أنه إمام دمشق ومقرؤها بعد ابن عامر⁷ روي عن واثلة ابن

¹ الذهبي: سير أعلام النبلاء 3 / 411

² تهذيب التهذيب 5 / 628

³ الذهبي: الكاشف ط 3 / 181

⁴ ابن كثير البداية والنهاية 8 / 100

⁵ الذهبي: الكاشف 2 / 328

⁶ غاية النهاية 2 / 367

⁷ الذهبي: معرفة القراء الكبار 1 / 105

الأسقع وقرأ عليه، وسعيد بن المسيّب وأبي الأشعث الصنعاني وأبي أسماء الرُّحابي وعبد الله بن عامر وقرأ عليه القرآن العظيم¹.

سمع منه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز². نال ثناء العلماء عليه، سئل عنه أبوحاتم فقال: (كان عالم بالقراءة في دهره في دمشق³) كانت وفاته في سنة خمس وأربعين ومائة على الراجح.

(2) ربيعة بن يزيد:

هو ربيعة بن يزيد الأيادي أبو شعيب الدمشقي القصير يعتبر شيخ دمشق وفقهها بعد مكحول⁴ كانت روايته عن عبد الله بن عمرو بن العاص، والنعمان بن بشير، ووائلة بن الأسقع، ومعاوية⁵.

أما ثناء العلماء عليه فواضح، قال نوح بن فضالة: (كان مفضولاً على مكحول⁶) وابن حبان يعطره زكري وثناء: (كان من خيار أهل الشام⁷) أما سعيد بن عبد العزيز يمدحه فيقول: (لم يكن عندي أحسن سمناً في العبادة من مكحول وربيعه بن يزيد⁸) توفي بأفريقية في إحدى غزواته سنة ثلاثة وعشرين ومائة⁹.

(3) سعيد بن عبد العزيز التنوخي:

هو أبو محمد سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي¹⁰، روى عن الزهري ومكحول وروى عن ربيعة القصير ونافع مولى ابن عمر وخلف¹¹.

عرض عليه يحيى بن الحارث الدُمّاري، ولقى عبد الله بن عامر وأخذ القراءة عنه وعن يزيد بن مالك¹² حظى بوافر الثناء من العلماء قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: (ليس

¹ الذهبي: الكاشف 3 / 221

² الذهبي: معرفة القراء الكبار 1 / 106

³ غاية النهاية في طبقات القراء 2 / 368

⁴ عبد الحي بن العماد: شذرات الذهب 1 / 161

⁵ تهذيب التهذيب 2 / 157

⁶ شذرات الذهب 1 / 161

⁷ تهذيب التهذيب 1 / 157

⁸ شذرات الذهب 1 / 161

⁹ الذهبي: الكاشف 1 / 239

¹⁰ تهذيب التهذيب 2 / 321

¹¹ شذرات الذهب 1 / 263

¹² غاية النهاية 1 / 307

بالشام رجلٌ أصح حديثاً من سعيد بن عبد العزيز¹، قال أحمد: (هو والأوزاعي عندي سواء²) وابن الجزري³ يصفه بأنه: (مفتي دمشق وهو إمام جليل ثقة كبير) يقول سعيد عن نفسه⁴: (ما قمت لصلاة إلا مثلت لي جهنم) مما يدل على تقواه وورعه وصلاحه. كانت وفاته سنة سبعة وستين ومائة⁵.

4) عبد الرحمن بن عامر:

هو عبد الرحمن بن عامر اليحصبي الشامي أخو عبد الله بن عامر إمامنا الجليل المقريء⁶.

قال عبد الغني: (روى عن أخيه، وإسماعيل بن أبي المهاجر، وربيعة بن يزيد، والوليد بن عبد الملك،، وغيرهم⁷).

5) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر:

وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم الدمشقي⁸ روى عن السائب بن يزيد وأم الدرداء⁹ روى عنه الأوزاعي سعيد بن عبد العزيز الذي مدحه قائلاً: (كان ثقة صدوقاً¹⁰) وكان حسن السيرة وكانت وفاته سنة إحدى وثلاثين ومائة¹¹.

هؤلاء هم تلاميذه وغيرهم من كبار التابعين الشاميين الذين أخذوا عنه وصاروا من كبار القراء ومن العلماء بالقراءة. وذكر ابن النديم¹² أكثر تلاميذ ابن عامر المرموقين في القراءة الذين أحصاهم ابن الجزري وأضاف إليهم ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي ولكنه وهم عندما عدّ هشام بن عمار السلمي منهم، فإنه أخذ القراءة عن عراك بن خالد عن يحيى بن الحارث الذماري.

¹ تهذيب التهذيب 2 / 321

² الذهبي: الكاشف 1 / 42

³ غاية النهاية في طبقات القراء 1 / 307

⁴ شذرات الذهب 1 / 263

⁵ الذهبي: الكاشف 1 / 291

⁶ تهذيب التهذيب 3 / 387

⁷ تهذيب التهذيب 3 / 387

⁸ الذهبي: الكاشف 1 / 76

⁹ الذهبي: الكاشف 1 / 76

¹⁰ الجرح والتعديل ص 182

¹¹ الذهبي: الكاشف 1 / 76

¹² الفهرست ص 44

خامساً: مكانته العلمية:

ارتفعت مكانة ابن عامر وتقلب في الوظائف الدينية المختلفة بعد أن أجاد رواية الحديث، وأتقن معرفة الفقه وتمكن منها، وأحكم قراءة القرآن، وأصبح عالماً فيها، فقد ولى قضاء دمشق بعد موت أبي إدريس الخولاني في آخر خلافة عبد الملك بن مروان ومضى على ذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك¹ ثم كان إمام الجامع الأموي في دمشق، وهو الذي كان ناظراً على إمارته حتى فرغ، وقال يحيى بن الحارث الذماري: (كان رئيس المسجد لا يرى فيه بدعة إلا غيرها²) وتقدم صفوف المقرئين في مسجد دمشق وانقطع للقراءة وكانت حلقة أكبر من حلقة أستاذه أبي الدرداء إذ كان فيها أربعمئة عريف يقرأونه ويعلمونه³ وكان من المؤلف في حلقة أبي الدرداء أن يكون على كل عشرة عريف⁴ فكانت حلقة ابن عامر تضم حوالي أربعة آلاف طالب.

أكثر الناس في الحديث عن ابن عامر وعن قراءته من ذلك ما نقله بن يزيد عن ابن مجاهد: (إنما قراءة ابن عامر شيء جاءنا من الشام⁵) قد علق أبو طاهر على كلام ابن مجاهد: (يعني أنها لم تجيء مجيء القراءة عن الأئمة التي يقوم بأسانيدنا الحجة⁶) وهذا كلام لا أساس يقوم عليه، فابن مجاهد⁷ يعتني بقراءة ابن عامر ويثني عليه ويجعله من القراء السبعة كما مر بنا في حديث يحيى بن الحارث الذماري وفي موضع آخر: (..... ثم إن الإجماع قد انعقد قطعاً على تلقي حروف ابن عامر بالقبول والله الحمد).

من العلماء الذين أثنوا على ابن عامر أيضاً أبو علي الأهوازي⁸ بقوله: (كان عبد الله ابن عامر، إماماً عالماً ثقة في ما أتاه، حافظاً لما رواه، متقناً لما وعاه، عارفاً فهماً فيما جاء به، صادقاً في ما نقله، من أفاضل المسلمين وخيار التابعين، وأجلة الراويين لا يُتهم في دينه، ولا يشك في يقينه، ولا يرتاب في أمانيه، ولا يطعن عليه في روايته، صحيح

¹ تاريخ أبي زرعة ص 414 - التيسير ص 5 - شذرات الذهب 1 / 156

² غاية النهاية في طبقات القراء 1 / 425 - تهذيب التهذيب 5 / 275

³ النشر 2 / 264

⁴ تاريخ دمشق 1 / 315 - غاية النهاية في طبقات القراء 1 / 606

⁵ طبقات القراء 1 / 67

⁶ طبقات القراء 1 / 67

⁷ كتب السبعة 87

⁸ غاية النهاية في طبقات القراء 1 / 125

نقله، فصيح قوله، عالياً في قدره، مصيباً في أمره، ومشهوراً في علمه، مرجوعاً إلى فهمه، لم يتعد فيما ذهب إليه الأثر، ولم يقل قولاً يخالف الخبر).

سادساً: مؤلفاته:

ذكر له ابن النديم كتابين هما: (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق)، وكتاب (المقطوع والموصول في القرآن).

سابعاً: وفاته:

توفي إمامنا ابن عامر بدمشق في أول عاشوراء في المحرم من سنة ثمانية عشر ومائة¹.

القراءة والقراء

وفيه مباحث:

- تأريخ القراءات القرآنية وتطورها
- أركان القراءات القرآنية وأنواعها
- مرحلة التأليف والتدوين في القراءات القرآنية
- أئمة القراءات القرآنية ورواتهم
- الأحرف السبعة

تمهيد:

هانذا أدلف إلي فصل جديد موضحاً فيه مباحث وطيدة الصلة بموضوع البحث وقضيته، وهي تفصل القول وتجليه في القراءة والقراء مما يجعل بحثنا يزدان بالوضوح شيئاً فشيئاً.

القراءة في اللغة:

هي كما يصفها ابن منظور¹: (من قرأ قرءاً وقراءة وقرآناً فهو مقروء) والجوهري في (الصاح) لا يبعد عن معنى صاحب اللسان²: (وأقرأه القرآن فهو مقروءٌ وجمع القارئ قرأة) هذا قولهم في المعني اللغوي في القراءة وقول غيرهم لا يختلفون في اللفظ . ومن الآيات القرآنية في هذا المعني قوله تعالى: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى)³, وأيضاً قوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)⁴, وأيضاً قوله عز وجل: (فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)⁵.

القراءة اصطلاحاً:

يعرفها العلماء تعريفات في مضمونها الإلتفاف حول معنى واحداً، وابن الجزري أكثر وضوحاً وإيجازاً في تعريف مصطلح القراءة إذ يقول⁶: (علم بكيفية أداء كلمات القرآن وأختلافها معزواً لناقله) وما أطف هذه العبارة وما أدقها (معزواً لناقله) وهي بجانب أنها علم أداء فهي علم سند. والزرركشي في (علوم القرآن) يقول⁷: (والقراءات إختلاف ألفاظ الوحي في كتابة الحروف أو كفييتها من تخفيف وتشديد وغيرها) .

¹ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت (د.ت. ط.) 1/128 .

² الجوهري، إسماعيل بن حماد جوهري الصاح، الطبعة الثانية تحقيق أحمد عبد الغفار 65/1

³ سورة الأعلى 6

⁴ سورة النحل 98

⁵ سورة القيمة 18

⁶ منجد المقرئين ص3 وفي النسخة المطبوعة (بعزو الناقله) وهو تصحيف صوابه ما ذكرناه .

⁷ الزركشي بدر الدين بن محمد عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل (د.ت. ط) 318

المبحث الأول

تأريخ القراءات وتطورها

قسم العلماء تاريخ القراءات إلى فترات توضح الدوافع، والأسباب فيما يطرأ على قراءة القرآن، تبتديء بالعصر النبوي وتنتهي بعصرنا هذا.

أولاً: القراءات في العصر النبوي:

تمهيد :

الرسول p والوحي :

الوحي لغة: له عدة معاني: منها الإلهام الفطري، الإلهام الغريزي، والإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء وقد عبر القرآن بكلمة (أوحى) عن كل هذه المعاني. فقال عن الإلهام الفطري: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ...)¹ وقال عن الإلهام الغريزي: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)². وعن الإشارة السريعة قوله تعالى: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)³.

ويطلق الوحي في الإصطلاح على: (إعلام من الله إلى من إصطفاه من عباده ما أراد إبلاغه له من نبأ غيبي أو تكليف شرعي، بطريقة خفية غير معتاده للبشر)⁴. أمين الوحي هو جبريل عليه السلام: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)⁵.

أختلف في الكيفية التي نزل بها القرآن إلى جبريل فقال بعضهم: ألهمه الله القرآن إلهاماً، بعضهم قال كان يحفظه من اللوح المحفوظ، وبعضهم قال تلقف جبريل القرآن من الله سماعاً⁶.

1 سورة القصص 7 .

2 سورة النحل 68 .

3 سورة مريم 11

4 بتصريف يسير من كتاب الإختلاف بين القراءات للبيبي طبع دار الجيل 1988 .

5 سورة الشعراء 193 .

6 السيوطي 1/ 156

روى البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أجاب من سأله كيف يأتيك الوحي؟ بقوله: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده علي - فيفصم عني وقد وعيت ما قاله , وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)¹.
والذي كان يأتي به جبريل كلام يسمعه النبي ﷺ من نحو قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق)².

لم تكن هناك مشكلة في قراءة القرآن في هذا العصر لأنه عندما كان المسلمون بمكة قبل الهجرة كان تلقيهم القرآن مباشرة من فم النبي ﷺ وإنما الذي حدث من إختلاف في أوجه القراءة كان قبل الهجرة لأن قبائل كثيرة -غير قريش- كانت قد اعتنقت الإسلام بعد فتح مكة في الثامنة من الهجرة. ومن هذه القبائل هوازن وطي، فقد أسلمتا بعد فتح مكة وحصار الطائف وغزوة حنين³. ومن الأدلة على أن رخصة الأحرف السبعة شرعت بعد فتح مكة. إن حادثة عمر ابن الخطاب وهشام بن حكيم Ψ كانت بعد إسلام هشام وهو لم يسلم إلا بعد أن فتحت مكة⁴ ولا بأس أن نذكر تفاصيل هذه الحادثة في حديث عمر بن الخطاب τ قال: (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأؤها على حروف كثيرة لم يقرئها الرسول ﷺ فكنت أساوره في الصلاة فانتظرت حتى سلم، ثم لببته بردائه أو بردائي فقلت من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها الرسول ﷺ قلت له: كذبت فوالله إن رسول ﷺ أقراني هذه السورة التي سمعتك تقرأها فانطلقت أقوده للرسول ﷺ فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها وأنت أقرأتي سورة الفرقان على حروف فقال رسول الله ﷺ: أرسله يا عمر اقرأ يا هشام؟ فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأؤها، قال

¹ السيوطي 1 / 156 .

² سورة العلق 1 وهي أول ما أنزل من القرآن الكريم

³ محمد حسنين هيكل حياة محمد صلى الله عليه وسلم ص434

⁴ ابن الأثير اسد الغابة 398/5

رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت ثم قال رسول الله ﷺ: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه)¹.

وحوادث آخر غير هذه قد حدثت إحداها مع عمر ثانية وأخرى بين أبي بن كعب وأثنين من الصحابة وبين عبد الله بن مسعود وصحابي آخر. فمن أراد المزيد يرجع إليه في مظانه، فديدنا هنا الإيجاز ما استطعنا¹. الشاهد في سرد وقائع الإختلاف أن هؤلاء الصحابة الثلاثة ما أنكروا على غيرهم الأوجه التي سمعوها منهم إلا لأنهم كانوا يجهلون عندئذٍ قراءة القرآن بأكثر من وجه فلما تبين لهم الأمر رجعوا عن إنكارهم وهنا دلالة أخرى تبدوا واضحة ونحن نذكر ما نذكر وهي: الأسلوب الذي كان ينتهجه النبي ﷺ في إقراء القرآن، فما كان يقريء الواحد منهم هذه الأوجه إلا بوجه واحد من وجوه القراءة. وهذا لعمرى لو فهم لزال كثير من الخلط الذي اعترى من اعترى في فهمه لإختلاف قراءات القرآن الكريم واتبع النبي ﷺ في ذلك معلمو القرآن وقراءاته فيما بعد فعلموا طلابهم الرواية الواحدة يحفظون بها ويؤدون ثم بعد ذلك يكون لهم بصر بالقراءات (بالروايات الأخرى) ولا يخلطون بين رواية ورواية ففي ذلك تحذير عظيم.

ثانياً: القراءات في عهد أبوبكر وعمر ٧٢:

سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال² هي مدة خلافة أبوبكر الصديق رضي الله عنه في السنة الحادية العشر من الهجرة النبوية (11هـ) في هذه الفترة التاريخية بعد وفاة النبي ﷺ عصفت بالدولة الإسلامية رياح سوداء وكانت الردة التي واجهها الخليفة الراشد أبوبكر الصديق رضي الله عنه بحسم وعزم فكانت حرب (اليمامة) في السنة الثانية عشرة من الهجرة³ التي استشهد فيها عدد كبير من حفظة القرآن. أمر زيد بن ثابت أن يجمع في صحيفة واحدة، خشية أن يضيع القرآن لموت الحفاظ، واستشهدهم في حروب الردة وهذا رأي عمر بن الخطاب ٢ الذي أفنعه به صاحبيه أبوبكر وزيد فشرح الله صدرهما لما شرح

¹ الكرمانى شرحه على البخارى 11/ 19

له صدر عمر ونهض زيد بالمهمة الصعبة وبعون من الله الذي حفظ الكتاب في لوحه المحفوظ جمع القرآن من مختلف المواد التي كتبت عليها السور والآيات⁴.

وقد أقر الصحابة وأجمعوا على ما فعله أبو بكر τ روى عن الإمام علي كرم الله وجهه أنه قال: (أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر فإنه أول من جمع بين اللوحين)⁵. وجمع الصديق لم يحتو على شيء من إختلاف القراءات وإنما اشتمل على السور وآياتها على النحو الذي سمعه زيد من الرسول ρ بعد العرضة الأخيرة ولم يكن ثمة أمر على جواز تعدد وجوه القراءة في بعض الكلمات على النحو الذي كان في العهد النبوي فقد كان كل قارئ يقرأ في عهد أبي بكر ما يحفظه مكن القرآن كما تعلمه من النبي ρ أو من صحابي آخر دون أن يكون للرأي والإجتهد رأي آخر هذا بجانب مصاحف مستقلة كانت تحتوي على جمع خاص ومن الصحابة الذين كانت لهم مصاحف خاصة علي بن أبي طالب، وأبوموسى الأشعري، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب⁶. ثم جاء عهد عمر الفاروق τ سنة (13هـ) بعد وفاة أبو بكر τ وكانت خلافته عشرة أعوام وستة أشهر وأربع ليالي. ثم توفي شهيداً في الرابع من ذي الحجة سنة (23هـ)⁷.

شهد عهد عمر τ ازدياداً في الحفظة والقراء وإشتهر من الصحابة من توفّر على القرآن حفظاً وتعليماً. وكان لكل إختياره لذلك سُمع من يقول: (قراءتي قراءة زيد إلا بضعة عشرة حرفاً فمن قراءة ابن مسعود) ،ومن يقول قراءتي قراءة أبي⁸. وكان ابن مسعود يقريء الناس القرآن بلهجة هُذيل⁹ (قبيلته) فبلغ عمر أمره فكتب إليه: (إن القرآن أنزل بلغة قريش فأقريء الناس بلغة (لهجة) قريش لا بلغة (لهجة) هذيل) وكان هذا بداية إختلاف كثير ظهرت بوادره واتسعت مصادره بأخذ الخليفة الراشد عثمان بن عفان τ .

¹ يراجع إختلاف هؤلاء الصحابة في القراء وجه القراءة شرح النووي علي صحيح مسلم 4 / 101 والحاكم النيسابوري : المستدرك 223/2 , 224 .

² أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر 2 / 332 = ابن كثير : البداية والنهاية 7 / 8

³ ابن كثير : البداية والنهاية 6 / 332 = ابن حجر : فتح الباري 9 / 9

⁴ السجستاني كتاب المصاحف 20

⁵ السجستاني : ص 5

⁶ سجستاني: كتاب المصاحف ص 54 – 83

⁷ ابن عبد البر: الاستيعاب 2 / 467 بهامش الإصابة

⁸ السجستاني: كتاب المصاحف ص 55، ابن مجاهد ص 55

⁹ ابن حجر: فتح الباري 9 / 7

ثالثاً: عصر سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه:

كان عثمان τ قد تولى الخلافة في سنة 23هـ بعد عمر τ وظل خليفة للمسلمين نحو اثني عشر (12) عاماً، ثم استشهد في سنة 34هـ¹. في صدر خلافته لم يطرأ جديد على وضع القراءة والقراء، ولكن بعد سنتين تقريباً من خلافته² جاء حذيفة بن اليمان سنة خمسة وعشرين قادماً من غزوة (بأرمينية)³ وقد سمع في معسكر الجند ما أزعجه فقد جمع المعسكر بين الجند القادمين من الشام والجند القادمين من العراق وأهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب وجند العراق على قراءة إمامهم ابن مسعود τ فكانت بذرة الاختلاف قد نبتت هنا وزاد الوضع على ما كان عليه قول بعضهم (قراءتي أحسن) و (قراءتي على قراءة فلان إلا كذا) وبلغ الاختلاف درجة كبيرة فقد تبادلوا عبارات الوصف بالكفر⁴.

وخشي حذيفة كما خشي عمر τ من قبل من تطور الاختلاف حول وجوه القراءة، كما اختلف اليهود والنصارى، حول التوراة، والإنجيل فقدم المدينة، وأفضى إليه بما سمع، ولعله من الجيد هنا أن نؤكد على أن خشية عمر τ ، كانت على ضياع القرآن بموت الحفظة في حروب الردة، بينما كانت خشية حذيفة τ على اختلاف وجوه القراءة عندما بدأ التعصب لقراءة الإمام وإنكار وتكفير من قرأ بقراءة سواه وكانت النتيجة أن اجتمع الخليفة بأهل الشورى والرأي فأشاروا بتوحيد رسم المصاحف وهذه نقطة تحول جديدة لم تكن في الفترتين السابقتين فوافق المجتمعون بالإجماع⁵.

مرت القراءات القرآنية منذ نشأتها الأولى بمراحل متداخلة إلى أن استقلت علما من علوم القرآن الكريم وغدت القراءات - بالدراسة والتأليف - مجالاً خصباً من مجالات الدراسات النحوية واللغوية .

فبدأت القراءات القرآنية أولاً، بتعليم جبريل النبي في أول آيات أنزلت هي خمس آيات من سورة العلق حيث بدأ واضحاً، إقراء جبريل القرآن للنبي يقول الإمام القرطبي

¹ البخاري: التاريخ الكبير، 3 / 209

² ابن حجر: فتح الباري 9 / 14 - 15

³ السيوطي: الاتقان 1 / 79

⁴ الطحاوي: مشكل الآثار 4 / 193

⁵ الزركشي: البرهان 1 / 239

(أرمينية: هي بلاد الارمن بتركيا الآن)

في تفسيره: (إن هذه السورة (العلق) أول ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين نزل بها جبريل على النبي وهو قائم بحراء فعلمه خمس آيات من هذه السورة)¹.
ثم قام النبي بتعليم وإقراء المسلمين وقراءته أمام من يدعوهم الى الإسلام. قال تعالى: (وَقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكثٍ ونزلناه تنزيلاً)² وجاء في الحديث، عن عثمان وابن مسعود وأبي أن رسول الله ﷺ: (كان يقرأهم العشر آيات فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمهم القرآن والعمل جميعاً)³.
ثم قام الصحابة رضوان الله عليهم بإقراء بعضهم البعض وكان يقع هذا بأمر النبي ﷺ وقيامه بنفسه به أيضاً روى البخاري بإسناده عن أبي إسحاق عن البراء قال: أول من قدم إلينا (يعني المدينة) من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وبن أم مكتوم، فجعلنا يقرآنا القرآن، ثم جاء عمار وبلال. وكان يطلق مصطلح المقرئ - في أول ظهور له - على مصعب بن عمير⁴.

ثم جاءت مرحلة رابعة لجماعة من الصحابة تعاهدوا القرآن وتدارسوه بينهم وكانوا يسمون (القراء). وهي بداية ظهور هذا المصطلح قال الواقدي: (وكان من الأنصار سبعون رجلاً شبيهة يسمون (القراء). كانوا إذا أمسموا أتوا ناحية المدينة فتدارسوا وصلوا⁵) وهؤلاء هم الشهداء في غزوة بئر معونة على عهد النبي ﷺ.

¹ الجامع لأحكام القرآن 10 / 207

² سورة الإسراء الآية 106

³ الجامع لأحكام القرآن 1 / 39

⁴ غاية النهاية في طبقات القراء 2 / 99

⁵ المغازي 2 / 347

ويؤكد إنتشار القراءة والإقراء في هذه المرحلة أيضا ما جاء في الحديث قال صلى ع : (استقرئوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود، سالم مولى أبي حنيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب¹).

وهنا تجرد بعض الصحابة لحفظ القرآن الكريم يعددهم لنا الإمام الذهبي : (هم أبي بن كعب (ت20هـ)، عبدالله بن مسعود (32هـ) وأبو الدرداء، عويمر بن زيد(32هـ) وعثمان بن عفان (35هـ) وعلي بن أبي طالب(40هـ) وأبو موسى الأشعري(44هـ) وزيد بن ثابت (45هـ).

ثم تدخل القراءات طورا جديداً ننقل إليه عبر قول الإمام الذهبي معقباً على تعداده السابق للحفظه : (فهؤلاء هم الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي وأخذ عنهم عرضاً، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة²). هذا الطور توضحه عبارة الذهبي : (وأخذ عنهم) هو إذن طور الأخذ والتلمذة .فإذا رجعنا إلى تصنيف طبقات القراءة، فالطبقة الثانية هي التي نعنى بها هذا الطور ،فالذهبي يذكر : أن أبا هريرة وابن عباس ،وعبد الله بن السائب، وعبدالله بن عباس وأبا العالية الرياحي، قرؤا على أبي ابن كعب، و المغيرة ابن أبي شهاب قراء على عثمان وأن الأسود بن يزيد أخذ القراءة -عرضاً- عن بن مسعود، وكذلك علقمة ابن قيس، أخذها عن بن مسعود³، وأن أبا عبد الرحمن السلمي ط على عثمان وعلى بن مسعود Ψ .

إنّ المدى الزمني لكل ما ذكرنا من نشأة القراءات القرآنية لا يتجاوز النصف الأول من القرن الأول الهجري لأن آخر من مات من الصحابة الحفظة رضى الله عنهم، هو زيد بن ثابت ط فقد توفي عام 45هـ. ثم يأتي طور جديد أفرز وجوه القراءات لمن استقرت عليهم القراءة ممن ذكرنا سابقاً. رويت هذه الوجوه ونقلت عنهم .ذكرهم عبدالله بن سلام فى أول كتاب (القراءات) في ذكر أسماء من نقل عنهم شئ من وجوه من القراءة من الصحابة وهم:

¹ صحيح البخاري 6 / 229

² المصدر السابق

³ المصدر السابق

سالم مولى أبي حذيفة، وأبوبكر، وعُمُر، وابن مسعود، وعثمان، وحذيفة، وطلحة وعلي، وسعد، وعمر بن العاص، وأبوهريرة، ومعاوية، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن السائب، وابن الزبير، وحفصة، وعائشة، وأم سلمة، وكلهم من المهاجرين¹.

وهذه المرحلة لم تتجاوز القرن الأول الهجري.

ثم يعين الخليفة عثمان π مقرئاً خاصاً لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بالمصاحف بعد توحيدها ليقرأ كل مصر بقراءة القاريء الخاص به ومبعوثو عثمان هم:

- 1- عبد الله بن السائب المخزومي (ت في حدود 70) إلى مكة.
- 2- أبو عبد الرحمن السلمي (ت 47هـ)، إلى الكوفة (من إمارة عثمان إلى إمارة الحجاج).

3- المغيرة بن أبي الشهاب المخزومي (نيف وسبعين للهجرة) إلى الشام.

4- عامر بن عبد قيس (حوالي 55هـ) إلى البصرة.

5- زيد بن ثابت (45هـ) أن يقرئ في المدينة.

وهذا الإختيار لعثمان الذي وقع على هؤلاء الصحابة لم يكن جزافاً وإنما موافقة لقراءة أهل مصر، ليصون كتاب الله من الإختلاف فيه²، وذلك لأن عثمان أمر أن تكتب المصاحف الأئمة المختلفة الرسم وفق إختلاف القراءات المعتمدة في بعض الحروف كما في قوله تعالى: [قال موسى] في القصص حيث كتبت بلا (واو) في مصحف مكة و (بواو) في سائر المصاحف. وأن تكتب في بعض الحروف بصورة تحتمل الكلمة معها وجوه القراءات المختلفة منها كما في قوله تعالى: (يخدعون) في البقرة بحيث كتبت، بغير ألف لتحتمل القراءات الأخرى بالألف (يخادعون). ومثل ذلك يقال في الياءات الزوائد التي تحذف رسماً.

¹ النشر 1 / 6

² مناهل العرفان 1 / 406

وفي هذه المرحلة برزت القراءات أكثر وضوحاً وتفصيلاً، حيث كان التفريق بين القراءات المعتمدة والقراءات الأحادية والشاذة، كما بدأ دخول شرط موافقة الرسم في اعتداد القراءة المعتمدة.

(نلاحظ أن المدى الزمني لهذه الأطوار قد شمل النصف الثاني من القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني).

ثم في مرحلة حاسمة اكتمل فيها البناء لتتشكل القراءات بعد أن مرت بتلك المراحل ليكون هذا المخاض المبشر بدلالة جديدة تؤكد الإعجاز لهذا الكتاب الخالد، نلاحظ هذه الملامح في بيان (عمدتنا) في القراءات الإمام بن الجزري إذ يقول¹: (ثم (أي بعد أولئك الذين مرّ ذكرهم) تجرّد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم العناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدي بهم أو يرحل إليهم ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلادهم على تلقي قراءاتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم فيها اثنان، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم). فكان بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت 130هـ) ثم نافع بن ثعيب (ت 169هـ).

وكان بمكة: عبد الله بن كثير (ت 120هـ) وحامد بن قيس الأعرج (ت 130هـ) ومحمد بن محيصن (ت 123هـ).

وكان بالكوفة: يحيى بن وثاب (ت 103هـ) وعاصم بن أبي النجود (ت 129هـ) وسليمان بن الأعمش (ت 148هـ) ثم حمزة (ت 156هـ) ثم الكسائي (ت 189هـ).

وكان بالبصرة: عبد الله بن أبي اسحاق (ت 129هـ) وعيسى بن عمر (ت 149هـ) وأبو عمر بن العلاء (ت 154هـ) ثم عاصم الجحدري (ت 128هـ) ثم يعقوب الحضرمي (ت 205هـ).

وكان بالشام: عبد الله بن عامر (ت 118هـ) وعطية بن قيس الكلابي (ت 121هـ) وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ثم يحيى بن الحارث الذماري (ت 145هـ) ثم شريح بن يزيد الحضرمي (ت 203هـ).

كل ماسبق ذكره ،من تخصص القراء في القراءة ،كان مادة وافرة لوضع علم
القراءات ،وتدوينه، والتأليف فيه. وقد بدأت هذه المرحلة في أواخر القرن الأول الهجري
وأوائل القرن الثاني الهجري.

المبحث الثاني

مرحلة التأليف والتدوين:

يختلف المؤرخون في أول من ألف في القراءات، فذهب الأكثرون إلى أنه أبو عبيدة القاسم ابن سلام (ت 224هـ) وحسب ابن الجزري في (غاية النهاية) أنه أبو حاتم السجستاني (ت 225هـ)، وذهب الدكتور عبد الهادي الفضلي¹ في بحثه عن القراءات أنه يحيى بن يعمر (ت 590هـ) ونقل عن ابن عطية: (وأما شكل المصحف ونقطة فروى أن عبد الملك بن مروان أمر به (عمله)² فتجرد لذلك الحجاج بـ(واسط) وجدّ فيه، وزاد تحزيبه وأمر - وهو وإلى العراق - الحسين ويحيى بن يعمر بذلك، وألف إثر ذلك بواسط كتاباً في القراءات جمع فيه ما روى من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زماناً طويلاً إلى أن ألف بن مجاهد كتابه في القراءات.

ثم جاء ابن مجاهد (ت 324هـ) (مسبع السبعة) فاقتصر على جمع قراءات سبع نفر في مؤلف خاص سماه (قراءات السبعة).

وهنا يبيّن لنا مكي بن أبي طالب (ت 437هـ) سبب إختصار ابن مجاهد على سببته: (فإن سأل سائل فقال: ما العلة التي من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة دون من هو فوقهم فنسبت إليهم السبعة الأحرف مجازاً، وصاروا في وقتنا أشهر من غيرهم ممن هو أعلى درجة منهم وأجل قدراً؟: فالجواب: إن الرواة من الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد، كثيراً في الإختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة وحسن الدين، وكمال العلم قد طال عمره، واشتهر أمره واجمع أهل عصره على عدالته فيما نقل، وثقته فيما قرأ وروى، علمه بما يقرأ فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفاً، إماماً هذه صفته، وقراءته على مصحف ذلك المصر، فكان أبو عمرو من أهل البصرة، وحمزة وعاصم والكسائي من أهل

¹ القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ط2 ص 27
² في الكلمة تصحيف وهي في الأصل عُماله والله أعلم

العراق، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من المدينة. كلهم ممن اشتهرت إمامته، وطال عمره في الإقراء وإرتحال الناس إليه من البلدان¹.

ثم تلت المرحلة السابقة مرحلة تفريد القراءات وتسديسها وتعشيرها دفعاً لشبهة الواهين من أن الأحرف السبعة هي نفسها القراءات السبعة قال الرازي: (إن الناس إنما ثمنوا القراءات وعشروها وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة) ثم قال: (وأنا لم أقتف أثرهم تثميناً في التصنيف أو تعشيرها أو تفريداً إلا لإزالة ماذكرته من الشبهة).

والمقصود بالتفريد - هنا - أفراد قراءة واحدة بالتأليف كمفردة يعقوب عبد الباري الصعيدي (ت 650هـ) والتسديد، ذكر ست قراءات فقط وهكذا. ومن مؤلفات هذه الفترة إتحاف فضلاء البشر للدمياطي البنا المتوفي (1117هـ).

إمتدت هذه المرحلة من القرن الرابع الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري نلاحظ أن التأليف هنا لم يؤثر على القراءات السبع، بل كانت هي المحور الذي يدور عليه البحث والتأليف.

أما إختيارات المؤلفين - في هذه الفترة - فقد بُنيت على الأركان الثلاثة السابق ذكرها، وإنما لنجد أن أكثر إختياراتهم، إنما هو في الحرف إذا اجتمعت فيه الأركان الثلاثة المعلومة وهي:

(1) موافقة العربية.

(2) موافقة المصحف.

(3) اجتماع العامة عليه.

ويريدون بإجتماع العامة. ما إتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة ، فذلك عندهم الحجة البالغة فوجب الإختيار. فقراءة هذين الأمامين من أوثق القراءات وأصحها سنداً وأصحها في العربية وبتلوها قراءة بن عمرو والكسائي رحمهم الله².

¹ الإبانة 47 - 48

² الإبانة 48 - 50

أجدني هنا استخدم مصطلح (القياس القرآني) هذا الذي ذكره د. الفضلي. هذا المقياس هو الآخر قد تطور فمقياس القراءة الذي ذكره ابن خالويه في القرن الرابع الهجري للقراءة المتواترة: أن تكون مما توارثه الأئمة، تطور هذا المقياس ليصبح (اجتماع العامة) وهذا الأخير قد جعل القراءة مقيدة أكثر من ذي قبل (توارث الأئمة) وكان هذا الشرط يشكل الحصن والوقاية للقراءات القرآنية من الفوضى والإضطرابات، بسبب التجوز في رخصة الأحرف السبعة، ثم يشهد هذا المقياس تطور جديد لتصبح الأركان الثلاثة كالاتي:

(1) صحة السند. (2) موافقة العربية. (3) موافقة رسم المصحف.

والشرط الثالث أكثر تقييداً مما سبق (اجتماع العامة عليه). وفاقاً لهذا التطور في قبول القراءة الصحيحة، قبلت - عند هؤلاء المؤلفين - كل قراءة استوفت الأركان الثلاثة سواء صدرت هذه القراءات عن السبعة أم عن سبعة آلاف غيرهم متقدمين أم متأخرين (ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة فاحكم بأنها شاذة)¹.

فالقراءة - بناء على ما سبق - نوعان:

صحيحة: ماتوفرت فيها الشروط الثلاثة.

غير صحيحة: ما تخلف فيها ركن من الأركان الثلاثة.

هذا ماقرره ابن الجزري عندما يذكر دواعي هذا المقياس: (... وكثر بينهم لذلك الإختلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق، فبالغوا في الإجتهد وبيّنوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ، بأصول أصلوها وأركان فصلوها)². ثم يتطور هذا المقياس إلى شيء من التوسع ليصير:

(1) صحة السند. (2) موافقة العربية وله بوجه. (3) موافقة الرسم ولو احتمالاً.

هذا ماكان من شأن التدوين، والتأليف في القراءات. ومازال التأليف في القراءات لاينقطع لأنه ينهل من مادة وصفت في الكتاب العظيم بقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ

¹ النشر 1 / 44

² النشر 1 / 9

من شجرة أرقام والبحر يمد من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله إن الله عزيز
حكيم¹، وليستمر التنقيب والبحث في الأحرف السبعة في معجزة باقية وتحدي مقيم.

المبحث الثالث

أركان القراءة القرآنية

أقوال العلماء في تبيان أركان القراءة الصحيحة مختلفة، بعضهم يجعل الأركان ثلاثة

وهي:

1- أن تكون موافقة للغة العربية.

2- وصححة الإسناد.

3- موافقة الرسم لأحد المصاحف العثمانية الأئمة، ومن هؤلاء الشيخ: مكي ابن ابي

طالب (ت437هـ) ووافقه ابن الجزري (ت833هـ) نظمها في (طيبة النشر):

وكل ما وافق وجه نحوي وكان للرسم إجمالاً يحوي
وصح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

ومن العلماء من لا يكتفي في السند بالصحة، بل يقول بوجود تواتره، وهو الراجح¹،
وعندما يقولون يلزم من صحة السند تواتره، يرجعون إلى إتفاقهم مع من قالوا إنها ثلاثة
أركان.

أنواع القراءات:

علماء القراءات يقسمون القراءات إلى ستة أقسام يذكرها لنا محرر الفن ابن

الجزري:

الأول: المتواتر (وهو مانقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثله إلى منتهاه²)
ومثاله: (ما أتفتت الطرق في نقله عن السبعة³ وهذا النوع هو الغالب في القراءات).

الثاني: المشهور: (هو ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر ووافق العربية والرسم
وأشتهر عند القراء ولم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ⁴) وهو (مارواه بعض الرواة دون
بعض⁵) أي أنها القراءة المستفيضة وأمثالته كثيرة في كتب القراءات المختلفة.

¹ السفاقي: قيس النفع ص 17

² منجد المقرئين ص 16

³ الزرقاني: مناهل العرفان ط 3 / 430

⁴ السيوطي ص 257

⁵ الزرقاني ص 430

الثالث: الأحاد وهو ما صح سنده، وخالف الرسم أو العربية، ولم يشتهر الإشتهار المذكور¹ وهذا النوع لا يقرأ به ويجب إعتقاده²، هناك نماذج أخرجها العلماء: (ما أخرجها الحاكم من طريق عاصم الجحدري، عن أبي بكر، عن النبي ρ قرأ [امتكئين على رفارف خضر وعبقري حسان] وأخرج من طريق أبوهريرة τ [فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرات أعين] وأخرج ابن عباس أنه ρ [لقد جاءكم رسول من أنفسكم] بفتح الفاء وأخرج عن عائشة رضي الله عنها أنه ρ قرأ [رُوحٌ وريحان³] بضم الراء.

الرابع: الشاذ وهو ما لم يصح سنده وفيه كتب مؤلفة⁴ ومثل له بقراءة ابن السميعة [فاليوم نُحِيكَ ببذكَ] بالحاء المهملة ونحو [فتكون لمن خَلَقَكَ آية] مكان (خَلَقَكَ) بسكونها وقد ألفت فيه الكتب كالمحتسب لابن جني وغيره.

الخامس: الموضوع وهو مانسبه إلى قائله من غير أصله مثاله القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي نسبها إلى أبي حنيفة⁵ كقراءة سعد بن أبي وقاص [وله أخٌ أو أختٌ من أم]⁶.

أما قولهم (موافقة اللغة) يعني ما يشمل منتها وقواعدها النحوية والصرفية وليس شرطاً أن تكون القراءة وفق الألفصح والأكثر شهرة من لهجات العرب ، وإنما الإعتماد على الرواية المنقولة بالتواتر⁷.

والمراد بقولهم موافقة الرسم أن تكون القراءة وفق رسم الكلمة في أحد المصاحف العثمانية الستة إذ كان كل مصحف منها إماماً وأصلاً يرجع إليه في نسخ المصاحف.

¹ السيوطي ص 257

² الزرقاني ص 430

³ السيوطي ص 257

⁴ السيوطي ص 257

⁵ مرجع سابق نفس الصفحة

⁶ السيوطي ص 258

⁷ عبد الفتاح القاضي: القراءات الشاذة ص 4، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 1 / 54

المبحث الرابع

أئمة القراءات العشرة ورواتهم

1- ابن عامر (توفي عام 118هـ) (هو عبد الله بن عامر اليحصبي، أبو عمران) تقدمت بنا ترجمته لأنه إمام هذا البحث وعلامته.

2- ابن كثير (توفي 120هـ) (هو أبو معبد عبد الله بن كثير المكي، مولى عمر بن علقمة الكناني) تابعي أصله من فارس. أخذ القراءة عن عبد الله بن الثائب المخزومي الصحابي ودرباس مولى ابن عباس ومجاهد ابن جبر، وهذا قرأ على ابن عباس الذي قرأ على أبي بن كعب τ . قد تصدر للإقراء بمكة، حتى صار إماماً، وقرأ عليه خلقٌ كثير. يذكر ابن الجزري منهم خليل بن أحمد الفراهيدي وسفيان بن عيينه وأبو عمرو بن العلاء.

راوياه: يذكرهما ابن الجزري أيضاً:

- أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله المشهور بالبزي.

- أبو عمر محمد المشهور بقنبل.

وهما لم يتلقيا قراءة ابن كثير منه مباشرة، ولكن واسطة. وكان ابن كثير

- بجانب القراءة - من رواة الحديث النبوي¹.

3- عاصم (توفي 127هـ):

هو عاصم بن أبي النجود الأسدي واسم أبيه بهدله وكنيته: أبوبكر، تابعي أخذ

القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي، الذي قرأ على الإمام علي τ ، عن زر بن حُبَيْش

الذي قرأ على ابن مسعود وقد قرأ عليه شعبة وحفص بن سليمان وهما اللذان إشتهرا

برواية قراءته. وقد صار عاصم إماماً للقراءة بالكوفة، بعد شيخه عبد الرحمن السلمي.

كل هذا يذكره ابن الجزري كما يذكره ابن القاصح. وقد كان عاصم كفيفاً وقراءته من

أكثر القراءات إنتشاراً في عالم اليوم برواية حفص عنه².

¹ غاية النهاية: 1 / 443، معرفة القراء الكبار: 1 / 71

² سراج القاريء ص 11 = معرفة القراء الكبار: 1 / 73

4- أبو عمرو بن العلاء (توفي 154هـ):

هو ابو عمرو بن العلاء بن عمار البصري المازني من بني مازن، اختلف في اسمه عند تراجمة القراء، فابن الجزري يقول: (قيل اسمه كنيته) فقيل اسمه زُبَّان ولد بمكة عام 68هـ ونشأ بالبصرة قرأ على جماعة من التابعين بالحجاز والعراق، منهم ابن كثير ومجاهد وسعيد بن جبير. وقرأ القرآن عليه جماعة منهم أبو عبيدة القاسم بن سلام والأصمعي وغيرهم. يقول ابن الجزري: (ليس له في السنة شيء).

راوياه:

- أبو حفص عمر الدوري.

- أبو شعيب صالح بن زياد السوسي.

وإتصالهم به بواسطة تلميذه يحيى بن المبارك اليزيدي¹.

5- حمزة الزيات (توفي 156هـ):

هو حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، وكنيته أبو عمارة كان مولى تميم، أدرك الصحابة بالسن، قرأ على أبي جعفر الصادق والأعمش ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى وطلحة بن مصرف وغيرهم. وأخذ القراءة عنه الكسائي وسفيان الثوري، وسعيد بن عيسى وسليمان بن عيسى، وغيرهم. يذكر شيخنا ابن مجاهد أن له حديث في صحيح مسلم وإليه انتهى الإقراء بطلوان العراق سنة 156هـ على الراجح.

راوياه: خلف، وخلاص بواسطة سليمان بن عيسى².

6- نافع (ت 169هـ):

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي ولاء، وكنيته أبو رويم، مقرئ المدينة المنورة. يذكر ابن الجزري أن أصله من أصبهان، أخذ القراءة عن سبعين من التابعين، ومن قرأ على نافع: الإمام مالك بن أنس، وإسماعيل بن جعفر، وعيسى بن وردان.

¹ سراج الفاريء ص 10 = معرفة القراء الكبار: 85 / 1

² معرفة القراء الكبار: 93 / 1 = كتاب السبعة ص 72 = غاية النهاية 261 / 1

راوياه:

قالون، وورش. وقراءة نافع، منتشرة في مصر، والإقليم الشمالي في السودان وغيره من البلاد¹.

7- الكسائي (توفي 189هـ):

هو علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي الأسدي ولأهلاً الكوفي النحوي، أخذ القراءة على حمزة، محمد بن أبي ليلى وعيسى بن عمر الهمداني وروى الحروف عن أبي بكر بن عياش، وإسماعيل ويعقوب بن جعفر عن نافع وعن المفضل بن حمد الضبي صاحب المفضليات وغيرهم. ورحل إلى البصرة وأخذ اللغة عن الخليل بن أحمد، وأخذ عنهم القراءة خلق كثير عرضاً عليه وسماعاً منه.

راوياه: يذكرهما ابن الجزري وهما: أبو الحارث الليثي وأبو عمر حفص الدوري (راوي قراءة أبي عمرو). وكانت وفاة الكسائي (برنبويه)².

8- أبو جعفر المدني:

(من جيل التابعين)، يترجم له إمامنا ابن الجزري: هو يزيد بن القعقاع، وقيل اسمه جندب بن فيروز، وهو مولى أبي الحارث عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وقد عرض أبو جعفر القرآن على مولاه هذا، وعن عبد الله بن عباس، وأبي هريرة Ψ وروى عنهم. روى القراءة عنه خلق كثير، منهم الإمام نافع - تقدم ذكره - وقد روى الإمام مالك عنه بعض الأحاديث ووصفه بقوله: (أبو جعفر القاريء كان رجلاً صالحاً يفتي الناس بالمدينة).

راوياه: عيسى بن وردان، وسليمان بن جُمَاز. أما تاريخ وفاته فمختلف فيه بين 127هـ و132هـ³.

¹ كتاب السبعة في القراءات 71 - 73 = معرفة القراء الكبار 1 / 261

² معرفة القراء الكبار 1 / 100 = سراج القاريء ص 12

³ معرفة القراء الكبار 1 / 58 = الأعلام للزركلي 9 / 241

9- يعقوب الحضرمي:

نطالع ترجمته للزركلي: هو يعقوب بن أبي إسحاق بن يزيد البصري، الحضري ولاءً وكنيته: أبو محمد. أخذ القراءة عرضاً على: سلام الطويل ومهدي ابن ميمون وأبي الأشهب العطاري وغيرهم، وسمع الحروف من حمزة والكسائي وقراءته على أبي الأشهب عن أبي رجاء عن أبي موسى الأشعري، يذكر ابن الجزري في صحة إسناده أنه: (في الغاية من علو الإسناد)، وكان يعقوب من أعلم أهل زمانه بالقراءات والنحو، وله مؤلفات، منها (الجامع) و (وجوه القراءات). وممن روى عليه أبوحاتم السبستاني، وأبو عمر الدُّوري وأشتهر من رواه اثنتان: محمد بن المتوكل ولقبه رويس، والآخر روح بن عبد الله. توفي يعقوب بالبصرة سنة (205هـ)¹.

10- خلف البغدادي:

هو خلف الله بن هشام بن تغلب البغدادي، ويكنى بأبي محمد، أصله من: (فم الصلح)، أخذ القراءة عرضاً من: (سليم بن عيسى) و (عبد الله بن أبي حماد) عن حمزة، فلذا يُعتبر خلف أحد رواة قراءة حمزة غير أنه لم يأخذ بقراءة حمزة في مائة وعشرين حرفاً، وكان أيضاً ثقة في رواية الحديث النبوي الشريف.

وروى قراءة خلف جماعة أشتهر منهم (إسحاق بن إبراهيم وإدريس بن عبد الكريم الحداد). وكانت وفاته ببغداد سنة 229هـ.

نقل ابن الجزري عنه قوله: (أشكل علي باب من النحو، فأنفقت ثمانين ألفاً حتى عرفته)².

تتمة الأربعة عشر ورواتهم :

11- ابن محيصن: محمد بن عبد الرحمن المكي، من روايتي البُزّي وأبي الحسن بن شنبوذ³.

12- اليزيدي: يحيى بن المبارك، من روايتي سليمان بن الحكم وأحمد بن فرح.

¹ الأعلام 9 / 255 = غاية النهاية 2 / 386

² النشر: 1 / 191

³ ينظر ترجمة الأربعة في اتحاف فضلاء البشر 1 / 75 - 76 = كتاب السبعة ص 65

13- الحسن البصري: من روايتي شجاع بن نصر البلخي والدوري.

14- الأعمش: سليمان بن مهران، من روايتي الحسن بن سعيد، وأبي الفرج.

المبحث الخامس

الأحرف السبعة

أجدني أولي هذه القضية (الأحرف السبعة) إهتماماً بالغاً لأن في معرفة مفهومها ومراده ، كثرت أقوال العلماء وتداخلت وحملوها من معانٍ فوق طاقتها. هنا أبسط القول في ذلك وأفصله لأنها مدار هذا البحث وإرتكازه.

لقد تواتر حديث الأحرف السبعة وأشتهر بطرق مختلفة وروايات متعددة تتفق مبنياً ومعنىً وتختلف ظرفاً و لفظاً. ولسنا بحاجة لحشد رواياته فربما يغنيننا عنهما حديث بن عباس Ψ قال: قال رسول الله ρ : (أقراني جبريل على حرف فراجعتة، فلم أزل استزيده ويزيدني حتى إنتهى إلى سبعة أحرف)¹.

ولكي يفهم الكلام على أصوله، وقواعده وفصوله، نورد كلام محرر الفن ابن الجزري، حينما فسر لغة هذه المفردة فقال ابن الجزري²: (قال أهل اللغة حرف كل شيء طرفه، ووجهه، وحافته، وحده، وناصيته والقطعة منه، والحرف أيضاً واحد حروف التهجي كأنه قطعة من الكلمة) ثم يورد قول الداني في المعنى الإصطلاحي لها : معنى الأحرف التي أشار إليها النبي ρ هاهنا يتوجه إلى وجهين: أحدهما أن يعنى أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات لأن الأحرف جمع حرف في القليل، كفلس وأفلس والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ]³ فالمراد هنا الوجه أي على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله وإذا تغيرت عليه وامتحنه بالشدة والضر ترك العبادة وكفر، فهذا عبد الله على وجه واحد والوجه الثاني من معناها: أن يكون سمى

¹ أخرجه البخاري ومسلم

² النشر 1 / 24

³ سورة الحج 11 .

القراءات أحرفاً على طريق السعة، كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره من ذلك قول عنتره¹:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بحرم

يقصد قلبه المجاور لثيابه وهذا ضرب من البلاغة يسمى بالمجاز المرسل.

اوكان كسبب منه وتعلق به ضرباً من التعلق كتسميتهم الجملة بإسم البعض منها
فذلك سمى ρ القراءة (حرفاً وإن كان كلاماً ...) ثم يعلق شيخنا على قول الداني (متفقاً
إن اللفظ يحتمل كلا الوجهين).

وهذا الحديث العظيم - كما يقرر - د. عبد الصبور شاهين² (...) ثم هي مشكلة أمام
الفكر الحديث الذي يقف أمام هذا كله محاولاً حلها: أو على الأقل: التوصل في أمرها إلى
تفسير مُقنع مريح) فيما يتصل كلام الدكتور مبيناً إشكال هذه (الأحرف السبعة) (ولعل هذا
التعقيد هو الذي جعل كثيراً من المؤلفين في تاريخ القرآن يكتفون بتزديد بعض الآراء
المنقولة، التي تزيد في حيرة من يتأملها لأن مناقشتها لاتزيد قضايا تاريخ القراءات إلا
تعقيداً، إذ يتعين على من يتصدى لذلك أن يراجع أقوال العلماء، وما أكثرها، وأن ينظر
في مبنى ترجيحهم، الذي يصل أحياناً إلى حد التضارب .. الخ).

وهذا الحديث المُشكل هو بداية تاريخ القراءات في السنة التاسعة للهجرة على

الأغلب. ويعرف هذا بالرجوع إلى حادثة عمر مع هشام السابقة ٧ فلم يكن إسلام هشام
إلا بعد فتح مكة في تلك السنة.

وقد قلبت النظر في الأحرف السبعة زماناً طويلاً، ناظراً في أقوال العلماء
وتفسيرهم لإشكالها، فكلما أتوغل في وجوههم، إزداد حيرة إلى حيرتي إلى أن وقعت على
(معاناة) العلامة شيخ القراءات ابن الجزري فهوتت الأمر على نفسي واطمئن قلبي
وإنشرح صدري يقول ابن الجزري³: (إني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها، وضعيفها
ومنكرها، فإذا هو يرجع إختلافها إلى سبعة أوجه من الإختلاف لا يخرج عنها ذلك:
أولاً: (إختلاف الحركات بلا تغير في المعنى والصورة) نحو (قَرَح) (وقَرَح).

¹ ديوان عنتره ص 35

² تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ص 4 طبع معهد الدراسات الإسلامية 1991م

³ النشر 26

ثانياً: (إختلاف الحركات مع تغير في المعنى فقط) نحو: (وأذكر بعد أمة). القراءة المشهورة بضم الهمزة وتشديد الميم: أي بعد مدة طويلة وقرأ ابن عباس وزيد ابن علي، والضحاك، وقتادة، وأبورجاء وغيرهم (بعد أمة) بفتح الهمزة والميم مخففة وهاء¹. قال صاحب لسان العرب (الأمة) النسيان.

ثالثاً: (أو في الحروف يتغير في المعنى لا الصورة) نحو (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ) قرأها حمزة والكسائي بتاءين من التلاوة، أو من التلو وهو الإلتباع وقرأ باقي السبعة (تبلو) بالتاء والباء: أي نختبر ما أسلفت من العمل، فتعرف كيف هو أفصح أم حسن انافع أم ضار، أمقبول أم مردود، كما يتعرف الرجل الشئ بإختباره، وروي عن عاصم: (تبلو) بنون وباء أي نختبر و: (كل نفس) بالنصب².

رابعاً: (أو عكس ذلك) أي بتغير في الصورة لا المعنى نحو: (وزادكم في الخلق بسطة)³ رسمت بالصاد وقرئت بالصاد والسين، قرأ خلاد بخلاف عنه، ونافع، والبيزي، وابن زكوان، وشعبة، وعلي، بالصاد، والباقون بالسين⁴.

خامساً: (وإما بتغيرهما (المعنى والصورة) نحو (فاسعوا إلى ذكر الله) قرئ (فامضوا إلى ذكر الله) قرأها عمر، وابن عباس، وابن مسعود⁵ ونحو (فوكزه) قرئت: (فلكزه). سادساً: (التقديم والتأخير) مثل: (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ)⁶ (الخوف والجوع) ونحو (فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ).

سابعاً: (الإختلاف بالزيادة والنقصان) مثل: (ووصى) قرئ (أوصى)⁷. هذه هي نتيجة تفكير عميق ، من إمام جليل عرفت به القراءات لقد فكر ابن الجزري ثلاثين عاماً ونيفا ، ليفتح الله تعالى عليه هذا التوجيه الجميل للأحرف السبعة،

¹ البحر المحيط 314 / 5

² إبراز المعاني 343 = البحر المحيط 153 / 5 = النشر 232 / 2

³ سورة الأعراف 69 .

⁴ المقنع 85 = قيس النفع 108 = الإتيان 170 / 2

⁵ الكشف 458 / 2

⁶ سورة النحل 112 .

⁷ النشر 26 / 1

فتسكن ثائرة العقل، ويطمئن الفؤاد، مما يدل على صواب التوجيه. ونحن نوافقه ونظمئن معه كما اطمأن الإمام ابن قتيبة والإمام الرازي¹ إذ حاولا مذهبه في الأحرف السبعة فجزى الله ابن الجزري خيراً كثيراً، الإمام المعترّ بالقراءات والمدافع عنها.

الحكمة من الأحرف السبعة وإعجازها:

هناك عدة حكم لنزول القرآن على سبعة أحرف² نذكر منها:

1- إن الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف هي التيسير على الأمة الإسلامية كلها خصوصاً الأمة العربية التي شوفهت بالقرآن، فإنها كانت قبائل كثيرة، وكان بينها إختلاف في اللهجات، و نبرات في الأصوات، واشهرت بعض الألفاظ وبعض المدلولات على رغم أنها كانت تجمعها العروبة ويوحد بينها اللسان العربي العام فلو أخذت كلها بقراءة القرآن على حرف واحد، لشق ذلك عليها وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم.

2- جمع الأمة الإسلامية الجديدة علي لسان واحد يوحد بينها.

3- بيان حكم من الأحكام الفقهية نحو (وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أوأخت فلكل واحد منهما السدس) قرأ سعد ابن أبي وقاص (وله أخ أوأخت من أم) بزيادة لفظة (من أم) فتبين بها أن المراد الأخوة لأم وليس الأخوة الأشقاء ومن كانوا لأب وهذا أمر مجمع عليه.

4- الجمع بين حكمين شرعيين مختلفين بمجموع القراءتين كقوله تعالى: [فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يتطهرن]³ قرن بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من المحيض لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. أما قراءة التخفيف فلا تعبر عن هذه المبالغة ومجموع القراءتين يحكم بأمرين: أحدها أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر وذلك بإنقطاع الحيض و ثانيهما: أنها لا يقربها زوجها أيضاً إلا إن بالغتفي الطهر، وذلك بالإغتسال فلا بد من الطهر بين كليهما في جواز قربان النساء وهو مذهب الشافعي ومن وافقه.

- 5- الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين كقوله تعالى : [فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين¹] قرأ بنصب (أرجلكم) وجرها فالنصب يفيد الغسل والجر يفيد المسح. وقد بين النبي أن المسح يكون للابس الخفين وأن الغسل يجب على من لم يلبس الخفين.
- 6- دفع توهم ما ليس مرادا نحو قوله تعالى : (فاسعوا) قرئت (فامضوا) المعنى ليس مضمونه السرعة.
- 7- بيان لفظ مبهم على البعض نحو (كالعهن المنفوش)² قرئ (كالصوف المنفوش)³.

¹ سورة المائدة 6 .
² سورة القارعة 5 .
³ النشر 29/1

الفصل الثالث

وفيه مباحث:

- إهتمام الخلفاء الأمويين بتعليم القرآن الكريم.
- القراء من الصحابة الشاميين وقراءاتهم.
- قراء التابعين من أهل الشام وقراءاتهم .

المبحث الأول

إهتمام الخلفاء الأمويين بتعليم القرآن الكريم

إحتاج العرب إلى من يعلمهم القرآن في بلاد الشام، بعد أن فتحوها واستقروا بأجنادها، واستقامت حياتهم بها، وذلك بسبب استشهاد طائفة من قرائهم وحفظه القرآن الكريم منهم في فتوح الشام، وإزداد عددهم لكثرة من ولد لهم ومن إنضم إليهم¹.

ويزيد ابن أبي سفيان من أول الأمراء الذين تبينوا حاجة أهل الشام إلى من يقرئهم القرآن في صدر الإسلام وذلك عندما أرسل إلى عمر بن الخطاب يسأله أن يبعث إليه بعض الصحابة من حفظه القرآن من أهل المدينة، فيستجيب عمر ويوجه إليه ثلاثة من الصحابة إلى بلاد الشام قاموا بتعليم الناس القرآن في حمص، ودمشق، وفلسطين قال محمد بن كعب القرظي²: (جمع القرآن في زمان النبي ρ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب وأبو الدرداء. فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا وربلوا (كثروا عددهم) ومألوا المدائن، وإحتاجوا إلى من يعلمونهم. فدعا عمر أولئك الخمسة، فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين، فأعينوني بثلاثة منكم، إن أحببتم فاستهموا وإن أنتدب ثلاثة منكم فليخرجوا. فقالوا: ما كنا لنستهم، هذا شيخ كبير، لأبي أيوب، وأما هذا فسقيم، لأبي بن كعب، فخرج معاذ، وعبادة، وأبو الدرداء. فقال عمر: (ابدأوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن (يفهم ما يسمع) فإذا أردتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين. وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس، أقام بها عبادة، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ بن جبل إلى فلسطين. وأما معاذ فمات عام طاعون عمّاس وأما عبادة فصار إلى فلسطين فمات بها وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات).

¹ احمد أمين: فجر الإسلام ص189 = الحياة العلمية في القرنين الأول والثاني ص 33

² طبقات ابن سعد 2 / 357

إنّ هذا النص العظيم يكشف لنا رغبة أهل الشام في تعلم القرآن وقراءته مما جعل عمر بن الخطاب τ يتسارع ويستجيب وليس هذا فحسب وإنما يوجه توجيه الخبير بشئون رعيته، الخبير بكيفية تعليم القرآن، فأرسل رسله موضحاً لهم الخطة العلمية والعملية، مما كان له الدور المتعظم في إقبال أهل الشام على القرآن درساً وتعليماً.

وإهتم الخلفاء والأمراء الأمويون بعد ذلك بتعليم القرآن وحضوا على قراءته وحفظه، فقد أمروا مؤدبي أولادهم أن يعلموهم القرآن، قال بعد الملك بن مروان لإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مؤدب ولده¹: (علمهم كتاب الله حتى يحفظوه) وقال في رواية أخرى²: (علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن). وهناك مثال آخر قال عمر بن العزيز لمؤدب ولده³: (ليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يثبت في قراءته) قال عتبة بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني مؤدب ولده⁴: (علمهم كتاب الله، ولا تتركهم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه) أنظر لهذه الدرر، ولهذا التوجيه السديد، وليت معلمو القرآن في زماننا هذا يدركون هذا الأسلوب في تعليم كتاب الله، بدل أن تُشَنَّه عنهم أساليب الضرب والتعذيب لطلابهم.

وهذا أيضاً هشام بن عبد الملك ينصح مؤدب ولده⁵: (أول ما أمرك به أن تأخذه بكتاب الله وتقرأه كل يوم عُشراً ليحفظ كتاب الله حفظ رجل يريد الكسب به). هذا وغيره من مظاهر الإهتمام بتعليم القرآن كثير، يكفينا ما ذكرنا لنؤكد عناية أهل الشام وأمرائهم بتعلم القرآن وتعليمه.

ولم يقتصر الخلفاء الأمويون على دعوة أهل الشام إلى قراءة القرآن وحفظه فقد كانوا يطلبون من أهل الأمصار الأخرى أن يتعلموه ويتمثلوه وكانوا يراجعون فيه أقاربهم الذين يفدون عليهم من المدينة ومكة، فمن قرأ القرآن منهم وحفظه قدره وأجازوه فمن لم يقرأه أنبوه وهجروه، وحبسوه عندهم حتى يقرأه واكلوا به من يعلمه قال محمد بن مسلم

¹ أنساب الأشراف: المخطوط 1 / 1165

² البداية والنهاية 9 / 66

³ سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص 221

⁴ العقد الفريد 2 / 436

⁵ تهذيب تاريخ ابن عساکر 6 / 277

الزُّهري في خبر وفوده لعبد الملك بن مروان¹: دخلت عليه (فسألني هل تحفظ القرآن؟ قلت: نعم، والفرائض والسنن فسألني عن ذلك فأجبته فقضى ديني، وأمر لي بجائزة). وكان الوليد بن عبد الملك² يسير على ذات النهج فيبرّ حملة القرآن ويكرمهم، ويقضي عنهم ديونهم، كما كان يتعهد علماء أهل الشام، ويكافئهم³ على إخلاصهم لقراءة القرآن الكريم وتعليمه.

وفي شأن الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز يروي لنا ابن كثير⁴: (كان عمر رحمه الله يعطي من أنقطع إلى المسجد الجامع من بلده وغيرها للفقه، ونشر العلم وتلاوة القرآن في كل عام من بيت المال مائة دينار). وسار المتأخرون على نهج الأولين فقد كان هشام بن عبد الملك⁵، والوليد بن يزيد بن عبد الملك⁶ يسخران من بعض أحوالهما، ويجفوانهم، ويقتران عليهم لجهلهم بالقرآن، وضعف علمهم به.

أشهر المعلمين:

منذ منتصف القرن الأول الهجري أخذت تظهر في بلاد الشام طبقة من المتخصصين اشتغلت بتأديب الصبيان، وكانت تقرئهم القرآن وتعلمهم الحديث والفقہ وتعرض شيئاً من المغازي والسير، والأخبار والأنساب وترويهم الشعر والخطب. وكان أكثر التابعين من أهل الشام، وكان بينهم بعض القراء العلماء من التابعين الشاميين، وكان أقل المعلمين من أهل الأمصار الأخرى، الذين نزلوا الشام أو رحل إليهم أهل الشام، وقرأوا عليهم في بلدانهم.

وكان المعلمون على ضربين: فمنهم رجال ارتفعوا إلى تعليم أولاد الخلفاء والخاصة، مثل عمر بن نعيم العنسي الدمشقي⁷، وكان معلم بني يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان⁸، معبد الجهني البصري المقتول سنة ثمانين⁹، وكان محمد بن سعيد بن مروان¹،

¹ البداية والنهاية 9 / 340

² البداية والنهاية 9 / 165

³ العقد الفريد 4 / 424

⁴ سيرة عمر بن عبد العزيز ص 105 = البداية والنهاية 9 / 207

⁵ الأنساب والأشراف المخطوط 2 / 204

⁶ عيون الأخبار 2 / 120

⁷ أنظر ترجمته في التاريخ الكبير 2 / 202

⁸ المصدر السابق

⁹ البداية والنهاية 9 / 34

وعبيد الله بن عتبة بن مسعود الهزلي المدني المتوفى سنة ثمانية وتسعين²، وكان مؤدب عمر بن العزيز³، والضحاك بن مزاحم الهلالي المتوفى سنة خمس ومائة، وكان معلم أولاد عبد الملك بن مروان⁴، وعامر بن شراحيل الشعبي⁵، وكان مؤدب ولد عبد الملك بن مروان⁶، ومسلم بن جندب الهزلي⁷ المتوفى سنة ست ومائة، وكان معلم عمر ابن العزيز، وكان عمر يثني عليه وعلى فصاحته بالقرآن⁸، ومحمد بن مسلم الزهري الحجازي الشامي⁹ المتوفى سنة أربعة وعشرين ومائة، وكان مؤدب عبد الملك بن مروان، وإسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر، الذي تقدم معنا ذكره مؤدب ولد عبد الملك بن مروان. وغيرهم كثير.

والضرب الثاني من المعلمين: رجال اقتصوا بتعليم أولاد العامة، مثل قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الدمشقي المتوفى سنة ست ومائة، فقد كان معلم كتاب قبل أن يوليه عبد الملك بن مروان على خاتمة، والقاسم بن مخيمر الهمذاني الكوفي الدمشقي المتوفى سنة مائة كان معلماً بالكوفة ثم سكن الشام. وقال عباد بن العوام عن إسماعيل بن أبي خالد: (كنا في كتابة وكان يعلمنا ولا يأخذ منا) وعندما نزل الشام أدى عنه عمر بن العزيز دينه، وأعطاه مركباً، وأجرى عليه مرتباً ثابتاً إذ يقول القاسم¹⁰: (أتيت عمر فقضى عني سبعين ديناراً، وحملني على بغلة، وفرض لي خمسين)، والضحاك بن مزاحم الهلالي الذي مر ذكره، كان معلماً لأبناء العامة¹¹ قبل أن يرتقي إلى تعليم أولاد الخلفاء، قال ياقوت الحموي¹²: (كان يؤدب الأطفال فيقال: كان في مكتبه ثلاثة ألف صبي، وكان يطوف عليهم على حمار). وكان يعلم ولا يأخذ شيئاً¹³، وعبد الحميد بن يحيى الكاتب مولى بني عامر

¹ البيان والتبيين 1 / 210

² البداية والنهاية 9 / 177

³ المصدر السابق = تهذيب التهذيب 7 / 23

⁴ البيان والتبيين 1 / 210

⁵ تهذيب التهذيب 5 / 65

⁶ أنساب الأشراف المخطوط 1 / 1168

⁷ غاية المنهاية في طبقات القراء 2 / 297

⁸ تهذيب التهذيب 10 / 124

⁹ البداية والنهاية 9 / 341

¹⁰ حلية الأولياء 6 / 83

¹¹ تهذيب التهذيب 4 / 454

¹² البداية والنهاية 9 / 223

¹³ طبقات ابن سعد 6 / 301

بن لؤي بن غالب القيسراني المقتول سنة اثنتين وثلاثين ومائة¹ (وكان أولاً معلم صبيّة يتنقل في البلدان)².

ولم يكتف الخلفاء الأمويون بتأديب أبنائهم فحسب، وإنما تجاوزوا ذلك إلى تأديب أبناء العامة أيضاً، وخاصة الوليد بن عبد الملك، فقد كان يختن الأيتام، ويترتب لهم المؤدبين³.

أما عن أسلوب التعليم فقد مر بنا توجيه الخليفة الفاروق لرسله الذين بعثهم إلى أجناد الشام لتعليمهم القرآن، عندما بين لهم طريقة التعاليم التي سار عليها الخلف من بعد وحتى عصرنا هذا. فقد كان المعلمون من قراء الصحابة والتابعين الشاميين يقسمون تلاميذهم عشرات في مسجد دمشق، ويجعلون على كل عشرة عريفاً وكان العريف يقرأ القرآن لتلاميذه سورة سورة، وهم يعيدون ماسمعوا منه، ويحفظون عنه، فإذا أخطأ أحدهم سأل عريفه، وإذا أخطأ عريفهم سأل شيخه⁴.

وكان العريف يمتحن تلاميذه بعد أن يخطموا القرآن فإذا تبين له أن أحدهم أتقن وأجاد، قدمه إلى الشيخ فأجازه، وأصبح عريفاً في حلقة وفي أخبار المعلمين ما يؤكد مانقول: يقول مسلم بن مشكمّ الدمشقي عن أبي الدرداء: (قال لي أبو الدرداء⁵: أعدد مَنْ يقرأ عندي القرآن؟ فعددتهم ألفاً وثمانمائة ونيفاً، وكان لكل عشرة منهم مقرئ، وأبو الدرداء يكون عليهم قائماً، وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء). كما ورد مثل ذلك في أسلوب تعليم الإمام عبد الله بن عامر قال ابن الجزري⁶: (لقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقة أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة) وكانت دراسة القرآن في حلقات أمراً جديداً على التابعين الشاميين لذلك قالوا: (الدراسة محدثة أحدثها هشام بن عبد الملك فحجبه عبد الملك، فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق، وعبد الملك في الخضراء

¹ البداية والنهاية 10 / 55

² الفهرست ص 170

³ فوات الوفيات 4 / 254

⁴ غاية النهاية 1 / 606

⁵ غاية النهاية 2 / 264

⁶ النشر 2 / 264

فأخبر بأن عبد الملك يقرؤه هشام، فقرأ هشام ابن إسماعيل فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام، فقرأ بقراءته مولى له، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد، فقرأ بقراءته).
وقد سرد لنا ابن عساكر¹ أسماء الذين كانوا يحضرون الدراسة بمسجد دمشق في العصر الأموي التي تشير إلى أن أكثر القراء المشهورين من التابعين الشاميين كانوا يشهدونها، قال ابن عساكر: (ممن حفظ لنا اسمه ممن كان يحضر الدراسة، أو من يوصف بالعلم أو بالرياسة: هشام ابن إسماعيل المخزومي الذي تقدم ذكره وقد ولاه عبد الملك بن مروان أمر المدينة، ورافع مولاة، وإسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر، وقد ولى أفريقية لهشام بن عبد الملك، وأبناء عبد الرحمن ومروان أبناء إسماعيل. ومن القضاة أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله الخولاني و.... غيرهم وغيرهم).

يظهر من كل ذلك أن تعليم القرآن ببلاد الشام في العصر الأموي قد ازدهر إزدهاراً شديداً، الأمر الذي جعل أكثر أهل الشام ما بين مقرئ، وحافظ، ومجود ومرتل، كان كل ذلك نتيجة لجهود الخلفاء والأمراء الأمويين في تعليم الناس القرآن الكريم وقراءته.

المبحث الثاني

القرّاءُ من الصحابة الشاميين

كان في كتائب الفتح لبلاد الشام، كثير من الصحابة الحفظة والمقرئين كانوا يعلمون الجنود القرآن الكريم ويرتلونه بينهم، ليزيد الإيمان ويقوي اليقين فيكون الثبات. ففي معركة اليرموك (كان القارئ المقداد¹ ومن السنة التي سن الرسول الله ﷺ أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء، وهي والأنفال ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك)².

أما الصحابة الثلاثة الذين بعثهم عمر بن الخطاب إلى بلاد الشام فقد كان لهم حظ كبير في تعليم أهل الشام القرآن الكريم، أما معاذ بن جبل المتوفي سنة ثمانى عشرة³ فعلم أهل فلسطين القرآن الكريم، وأما عبادة بن الصامت المتوفي سنة أربع وثلاثين⁴ فعلم أهل حمص القرآن الكريم، وأما أبو الدرداء المتوفي سنة اثنتين وثلاثين⁵، فعلم أهل دمشق القرآن الكريم وكان أنشطهم جميعاً وكان كذلك حاله في المدينة قبل أن ينزل دمشق فقد كان من أشهر علمائها فقد روى الليث بن سعد بن عبد الله بن سعيد قال⁶: (رأيت أبا الدرداء دخل المسجد، مسجد النبي ﷺ ومعه من الأتباع مثلما يكون مع السلطان، بين سائل عن فريضة، وبين سائل عن حساب، وبين سائل عن شهر، وبين سائل عن حديث، وبين سائل عن معضلة).

وكان أبو الدرداء أكثر الصحابة أثراً في أهل دمشق، قال الذهبي⁷: (كان عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق، وفقههم وقاضيه) لهذه المكانة العلمية لأبي الدرداء نجد أن أكثر أهل الشام نبوغاً في القرآن وقرآته كان قد تخرج من حلقة (ت).

¹ الإصابة 2 / 455

² تاريخ الطبري 3 / 397

³ الفهرست ص 41

⁴ تهذيب التهذيب 5 / 11

⁵ غاية النهاية 1 / 606 = تهذيب التهذيب 5 / 175

⁶ تذكرة الحفاظ 1 / 25

⁷ تذكرة الحفاظ 1 / 24 = قضاة دمشق للنعمي ص 2

ومثل ذلك يذكره إمامنا ابن الجزري¹: (عرض عليه (أي على أبي الدرداء) عبد الله بن عامر اليحصبي فيما يقطع به الداني، ورويناه عن الجماعة وزوجة أبي الدرداء الصغرى،...، وعرض عليه القرآن أيضاً خليل بن سعد، وراشد بن سعد، وخالد بن معدان) ومنهم فضالة بن عبيد الله الأنصاري الدمشقي المتوفي سنة ست وثمان وخمسين²، وقد وردت عنه الرواية في حروف القرآن³ وأشار ابن النديم وغيره إلى أن عبد الله بن عامر اليحصبي سمع منه القرآن وأخذه عنه⁴.

ومن الصحابة الشاميين أيضاً وأثلة بن الأسقع الكناني الدمشقي المتوفي سنة خمس وثمانين⁵، قال عنه ابن الجزري⁶: (أخذ القراءة عن النبي ﷺ، قرأ عليه يحيى بن الحارث الزُّمَارِي في قول الجماعة، وأخذ عنه إبراهيم بن أبي عيلة).

¹ غاية المنهاية 1 / 606

² البداية والنهاية 8 / 78

³ المُحتَسَب لابن جني 2 / 147

⁴ الفهرست ص 44

⁵ البداية 9 / 60

⁶ غاية المنهاية 2 / 358

المبحث الثالث

قراءات الصحابة الشاميين

اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في قراءة القرآن في حياة النبي ρ ، وقد صوّب الرسول الكريم قراءاتهم على إختلافها وأمر كل واحد منهم أن يقرأ كما علّم¹.
والإمام الطبري² أفضل من إعتنى في تفسيره (جامع البيان) لوجوه إختلاف الصحابة في حرف القرآن وأبان أنهم إنما تنازعوا (في نفس التلاوة دون مافي ذلك من المعاني)³.

وقد تعلم أهل الأمصار القرآن على كثير من الصحابة، وكان إختلافهم في القرآن من أسباب تنازع أهل الأمصار فيها وكان الداعي الأوحد لجمع عثمان τ للقرآن الجمع الثاني، وبعد كل ذلك ظل أهل دمشق وأهل حمص يختلفون في القراءة وويتناقضون فيها.
قراءة معاذ بن جبل الأنصاري:

قال ابن الجزري⁴: (وردت عنه الرواية في حروف القرآن) وفي قراءاته وجوه كثيرة، منها مايتصل بالرسم، فقد قرأ: (وقضاء الأمر) على المصدر المرفوع عطفاً على الملائكة وقرأ⁵: (قضاء الأمر) بالمد والخفض عاطفاً على (الملائكة) في قراءة من قرأها بالجر عطفاً على (في ظلل) أو عطفاً على (الغمام)⁶ بدلاً من: (وقضي الأمر)⁷ على الفعل المبني للمجهول..

وقرأ: (واعتدت لهن مئكاً) بفتح الميم وتكسين التاء بدلاً من: (واعتدت لهن مئكاً)⁸

¹ تفسير الطبري 10 / 1

² تفسير الطبري 15 - 9 / 1

³ تفسير الطبري 16 / 1

⁴ غاية النهاية في طبقات القراء 310 / 2

⁵ البحر المحيط 125 / 2

⁶ تفسير الطبري 190 / 2 = البحر المحيط 125 / 2

⁷ سورة البقرة الآية (210)

⁸ سورة يوسف الآية (31)

والمثك: القطع¹، وقال الزمخشري²: (وقيل: اعتدت لهن ما يقطع من متن الشيء بمعنى بتكه إذا قطعه).

ومنها ما يتصل بالإشتقاق، فإنه قرأ³: (ومن كسبَ خطيئة)⁴ قال: ابن خالويه⁵: (تقديره يكتسب) ثم يدغم، ويكسر الكاف لإلتقاء الساكنين، مثل يهدّي⁶.
ومن وجوه قراءته أيضاً ما يتصل بالإعراب، فإنه قرأ⁷: (مُقَرَّنون) بالواو رفعاً بدلاً من (مقرنين)⁸ بالياء نصباً. قال أبو حيان الأندلسي⁹: (ووجهها أن يرتفع على البدل من ضمير: (ألقوا) بدل نكرة من معرفة).

قراءة أبو الدرداء الأنصاري:

قد وردت عنه الرواية في حروف القرآن أيضاً ومن معالم قراءته الذي يتعلق بالرسم قراءته¹⁰: (جنه المأوى) بهاء الضمير، وجن فعل ماضي، والهاء ضمير النبي أي عندما ستره إيواء الله تعالى له وجميل صنعه¹¹ من قولهم أجنه الليل: أي ألبسه سواده.

وزاد أبو الدرداء حرفاً في بعض الكلمات، فإنه قرأ: (ماكان للنبي أن يكون له أسرى) بلامين مكان (ما كان لنبي)¹² بلام واحدة قال أبو حيان: (المراد به في التثنية والتعريف النبي ع، ولكن في التثنية إبهام في كون النفي لم يتوجه إليه معنياً... وقرأ: (في الفلكي)¹³ بزيادة ياء النسب، مكان: (في الفلك)¹⁴ قال أبو الفتح¹⁵: (أعلم أن العرب

¹ اللسان: مثك

² الكشاف: 317 / 2

³ مختصر في شواذ القرآن ص 28 و ص 40

⁴ سورة النساء الآية (112)

⁵ السابق ص 61

⁶ سورة يونس الآية (35)

⁷ البحر المحيط 6 / 485

⁸ سورة الفرقان الآية (13)

⁹ البحر المحيط 6 / 485

¹⁰ المحتسب 2 / 293

¹¹ البحر المحيط 8 / 159

¹² سورة الأنفال الآية (67)

¹³ البحر المحيط 5 / 138 = المحتسب 1 / 310

¹⁴ سورة يونس الآية (22)

¹⁵ الخصائص لابن جني 3 / 104 = البحر المحيط 5 / 138

زادت ياء الإضافة فيما لا يحتاج إليه من ذلك قولهم في الأحمر أحمرى وفي الأشهر
أشهري قال العجاج:

والدهر بالإنسان دوّاري

وأیضا قول الآخر:

غضن طواها الأمس كلابي

فزاد ياء النسب في (دوار) و(كلاب) وهو لا يحتاج.

ثم يقول: (فإن قيل هذا أمر يتعلق بالصفات وليس (الفلك) صفة فتلحقه ياء النسب ،
قيل : قد جاء قد جاء في الإسم أيضاً ألا ترى إلى قول الصلتان:

أنا الصلتاني الذي قد علمتم متى يحكم فهو بالحق صادع

وحذف كلمتين من آية واحدة فإنه قرأ¹: (والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى) مكان: (والنهار
إذا تجلى وماخلق الذكر والأنثى)² قال أبوحيان³: (الثابت في مصاحف الأمصار
والمتواتر: (وماخلق الذكر والأنثى) وما ثبت في الحديث من قراءة نقل آحاد
مخالف للسواد، فلا يعد قراناً).

ويقال أن أبو الدرداء قد أباح القراءة بالمترادف للضرورة التعليمية، قال
الزمخشري⁴: (عن أبي الدرداء إنه كان يقرأ رجلاً: فكان يقول: (طعام اليتيم) فقال:
قل: (طعام الفاجر يا هذا) ، مكان (طعام الأثيم)⁵.

ومما يتعلق بالإشتقاق في قراءة أبي الدرداء أنه قرأ: (لو أطاعونا ماقتلوا) بتشديد
التاء، مكان (ما قتلوا)⁶ بتخفيف التاء وكسرهما.

من أمثلة الإعراب في قراءته، قراءته⁷: (أن نُنَّخَذَ من دونكم) بضم النون على البناء
للمفعول، مكان: (أن نَنخِذَ من دونك من أولياء)⁸ بفتح النون على البناء للفاعل قال ابن

¹ المحتسب 2 / 364 = الكشاف 4 / 260

² سورة الليل الآية (3)

³ البحر المحيط 8 / 483

⁴ الكشاف 3 / 506

⁵ سورة الدخان الآية (44)

⁶ سورة آل عمران الآية (168)

⁷ مختصر في شواذ القرآن ص 104

⁸ سورة الفرقان الآية (18)

جني¹: (أما إذا ضمت النون فإن قوله: (من أولياء) في موضع الحال،...، وأما في قراءة الجماعة،...، فإن موضع المفعول به أي أولياء).

قراءة فضالة بن عبيد الله الأنصاري:

قد وردت عنه الرواية في حرف واحد من القرآن الكريم يدخل في الرسم، فإنه قرأ²: (وأصبح فؤاد أم موسى فزعا) بالزاي من غير ألف. وقال ابن جرير الطبري³: (ذكر عن فضالة بن عبيد الله الأنصاري أنه كان يقرأه: (وأصبح فؤاد أم موسى فزعا) من (الفرع) عوضاً من (فارغاً)⁴ قال ابن جني: (أما فزعا) بالفاء والزاي فمعناه قلقاً، يكاد يخرج من غلافه فينكشف، ومنه قول الله تعالى: (حتى إذا فُزِعَ عن قلوبهم)⁵ أي كشف عنها،...، ومعنى (فارغاً) أي خالياً من الحُزن، لعلمها أنه لا يفرق وقال ابن عباس: (فارغاً) أي خالياً من كل شيء إلا من ذكر موسى).

قراءة معاوية بن أبي سفيان:

ذكره الإمام الداني في تاريخ القراء وقال: (وردت عنه الرواية في حروف القرآن)⁶ نقل عنه قراءته: (لاعدوا له عدده) عوضاً من (لاعدوا له عدة)⁷.

كل ماسبق هو الذي وقفنا عليه من قراءات الصحابة الشاميين ، وهي قراءات - على ماترى - تتدرج قائمة الشواذ والمفردات وسبب ذلك: طبيعة الخط ورسمه المحتمل لها ولغيرها، وخلو المصاحف من النقط والشكل حينها. وبعض قراءاتهم منقول عن روايات ضعيفة ، مما يجعلها ساقطة الإسناد وهي قراءات آحاد لا يعتد بها، كما قرر ذلك علمائنا الأجلاء. ومعظم قراءاتهم نجدُ إما أنه نقل من مصحف أبي أو مصحف عبد الله ابن مسعود أو غيرها وهي مصاحف معلوم أنها (مصاحف) خاصة أمر بإحراقها وحرقت.

¹ المحتسب 2 / 120

² المحتسب 2 / 148 = البحر المحيط 7 / 107

³ تفسير الطبري 20 / 23

⁴ سورة القصص الآية (10)

⁵ سورة سبأ الآية (34)

⁶ غاية النهاية 2 / 303

⁷ سورة التوبة الآية (46)

والأمر المحتمل في ضعف هذه القراءات أيضاً أنها كانت أثر واضح للغات ولهجات قبلية ،
وضح ذلك في إختياراتهم بعض الصيغ دون غيرها

المبحث الرابع

قراءات التابعين الشاميين

هناك عدد من القراءات الشاذة المروية عن تابعي الشام، أقلها قديم قرأ به الصحابة وأكثرها جديد إنفردوا به، والقراءة هنا تنقسم إلى قسمين: مدرسة أهل حمص، كان زعيمها معاذ ابن جبل الانصاري رضي الله عنه ومدرسة أهل دمشق وذلك في القرن الثالث الهجري ولعله قد نشأت بين المدرستين روح التنافس في القراءة فكان أهل حمص يتمسكون بإختيارهم مضارعين قراء دمشق الذين إمامهم ابن عامر الذي قد تصدر القراءة، وإعتلت مكانته لأنه كان إماماً مقرئاً يكفيه أن أمير المؤمنين كان يأتيه به ويكل إليه رئاسة المسجد الأموي بجانب القضاء¹.

ف نجد أن مروان ابن الحكم أول من قرأ²: (ملك يوم الدين) بغير ألف وهي قراءة متواترة قرأ بها أكثر القراء السبعة، وقدمها ابن جرير على قراءة من قرأ: (مالك يوم الدين)³ فإنه يقول⁴: (بين إذن أن أولى القراءتين بالصواب وأخف التأولين قراءة من قرأ: (مالك يوم الدين) بمعنى إخلاص الملك له يوم الدين، دون قراءة من قرأ: (مالك يوم الدين) بمعنى أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء متفردا به دون سائر خلقه).

في نموذج آخر وجدنا أن أم الدرداء الصغرى لها إختيار في القراءة حيث زادت ياء الإضافة في كلمة (الفلكي) وهي قراءة زوجها أبو الدرداء⁵.

ونحن هنا نختصر الحديث عن قراءة بعض التابعين من أهل الشام محيلين إلى تراجمهم في كتب السير والتراجم، حرصاً على حدود البحث نذكر منهم:

¹ النشر 2 / 264 = غاية النهاية 1 / 424

² الكشف عن وجوه القراءات السبع 1 / 27

³ سورة الفاتحة الآية (4)

⁴ تفسير الطبرى 1 / 50

⁵ البحر المحيط 6 / 427

1) أبو بحرية عبد الله بن قيس السكوني¹:

من وجوه قراءته ما يتعلق بالرسم فقد قرأ²: (جنة المأوى) بهاء الضمير وجن فعل ماضي مكان: (جنة المأوى)³ بمعنى الجنة التي يصير إليها المتقون وقد مر بنا قول ابن جني عن لغة (جنه). قال دريد ابن الصمة:

ولولا جنون الليل أدرك ركبنا بذى الرمث والأرطي عياض ابن ناشب
والمعنى الجامع لتعريف (ج ن ن) أين وقعت هو الإستخفاء والستر . ومن مظاهر الإشتقاق في قراءته، قراءته: (جماليات صفر) بضم الجيم بمعنى حبال السفينة مكان : (جماليات صفر) بكسر الجيم جمع جمال بمعنى الإبل.

2) عمر بن عبد العزيز⁴:

من شواهد الرسم في قراءته أنه قرأ⁵: (يوم إسباتهم) بدلاً من (يوم سبتهم)⁶ وقرأ: (فأعشيناهم) بدلاً من (فأعشيناهم) قال ابن جرير الطبري⁷: (فأعشيناهم) بمعنى أعشيناهم عنه، أن العشا أن يمشي بالليل ولا يبصر) وابن جني⁸: يذهب ذات المذهب (هو منقول من عشي عشيته كعمي وأعميته) .

ومن إشتقاقه قراءته⁹: (قتلوا وقتلوا) بدلاً من (قاتلوا وقتلوا) ومن نماذج الإعراب قراءته¹⁰ (مالك يوم الدين) بالنصب علي النداء كما قرأ (سورة) بدلاً من (سورة) أنزلناها¹¹ بالنصب علي الإشتقال والتخصيص. قال ابن جني¹² (هي منصوبة بفعل مضمر ولك في ذلك طريقان أحدهما: أن يكون المضمر من لفظ المظهر ويمكن المظهر تفسيراً له تقديره (أنزلنا سورة) ولما أضمره فسر به بقوله (أنزلناها) كما قال:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا

¹ غاية النهاية 442 / 1

² الكشف 29 / 4 = المحتسب 292 / 2

³ سورة النجم الآية (15)

⁴ غاية النهاية 593 / 1

⁵ مختصر في شواذ القرآن ص 47

⁶ سورة الأعراف الآية (63)

⁷ تفسير الطبري 99 / 22

⁸ المحتسب 204 / 2

⁹ تفسير الطبري 144 / 4

¹⁰ الكشف 57 / 1 = البحر المحيط 27 / 1

¹¹ سورة النور الآية (1)

¹² المحتسب 99 / 2

والذئبَ أخشاهُ إن مررت به وحدي وأخشي الرياح والمطرا

أي (أخشى الذئب) فسرّه بقوله (أخشاه)، والآخر: أن يكون الفعل الناصب (سورة) من غير لفظ الفعل بعدها لكن علي معني التحضيض (أي أقرأ سورة) (تأملوا سورة) (تدبروا سورة) نحو قوله تعالى: (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)¹ أي أحفظوا ناقة الله .

(3) شهر بن حوشب الأشعري الحمصي²:

من شواهد الرسم في قراءته³: (فرهن مقبوضة) بتسكين الهاء مكان (فرهان مقبوضة)، وقد رفض ابن حرير الطبري⁴ تلك القراءة كما رفض قراءة من قرأ (فرهن مقبوضة) بتحريك الراء بالضم مستدلا بأن الجمع المعروف لما كان من اسم (فعل) كما يقال جبل وجبال، وكعب وكعاب ونحو ذلك من الأسماء، وأما الجمع على (فعل) و(فعل)، فشاذا قليل إنما جاء في أحرف يسيرة) وهذا الوجه يلتبس بالإشتقاق وهذا -كما ترى- كثير، أن يلتبس وجه بوجه آخر، في قراءة القارئ الواحد.

ونذكر من شواهد الإعراب في قراءة ابن حوشب قراءته⁵: (أرم ذات العماد) بتشديد الميم وفتح التاء مكان (إرم ذات العماد)⁶ قال بن جني⁷: (إرم ذات العماد) تفسير لقوله (فعل بعاد) فكان قائلا قال: ما صنع بها؟ فقال (أرم ذات العماد) أي مدينتهم وهذا يدل على هلاكهم).

(4) قلابة الجرمي البصري الداراني الدمشقي⁸:

¹ سورة الشمس 13 س

² مختصر في شواذ القرآن ص 18 = كتاب السبعة في القراءات ص 194

³ المحتسب 2 / 348

⁴ تفسير الطبري 3 / 92

⁵ المحتسب 2 / 359

⁶ الفجر الآية 7

⁷ المحتسب 2 / 360

⁸ طبقات ابن سعد 7 / 183 = شذرات الذهب 1 / 126

من صور الرسم في قراءته¹: (إلى شيء نُكِر) وقراءة الجماعة (إلى شيء نُكِر)²
قال ابن جني³: (يقال أنكرت الشيء فهو منكر ونكرته فهو منكور وجمع الأعشى⁴ بين
اللغتين:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوات إلا الشيب والصلعا
ومن أمثلة إشتقاقه أنه قرأ⁵: (وإن هذا إلا خُلِق الأولين) بدلاً من (خُلِق الأولين)⁶
والخلق بضم اللام وسكونها بمعنى واحد وهو الدين والطبع والسجية.

(5) الضحاك بن مزاحم الهلالي⁷:

من أمثلة الرسم في قراءته⁸ (فطر السماوات والأرض) جعله فعلاً ماضياً ونصب
ما بعده في موضع (فاطر السماوات والأرض)⁹ اسم فاعل مجرور وما بعده مضاف إليه.
قال ابن جني¹⁰: (هذا على الثناء على الله سبحانه وتعالى وذكر النعمة التي استحق بها
الحمد. وأفرد ذلك في الجملة التي هي (جَعَلَ) بما فيها من الضمير, فكان اذهب في معنى
الثناء، لأنه جملة بعد جملة وكلما زاد الإسهاب في الثناء أو الذم كان أبلغ فيهما).

كما نجده يزيد حرفاً على خط المصاحف نحو قراءته¹¹ (ربي احكم بالحق) مكان
(رب احكم بالحق)¹².

ونماذج الإعراب كما الرسم وفيرة في قراءته من ذلك قراءته¹³ (مثلاً ما بعوضة)¹⁴
بالرفع في موضع (بعوضة) بالنصب قال ابن جني¹⁵: ووجه ذلك أن (ما) هاهنا اسم

¹ المُحتسب 2 / 298
² سورة القمر الآية (6)
³ المُحتسب 2 / 298
⁴ ديوان الأعشى 78
⁵ البحر المحيط 7 / 34
⁶ سورة الشعراء الآية (137)
⁷ غاية النهاية 1 / 337
⁸ المُحتسب ص 198
⁹ سورة فاطر الآية (1)
¹⁰ المُحتسب 2 / 198
¹¹ البحر المحيط 6 / 245
¹² سورة الأنبياء الآية (112)
¹³ البحر المحيط 1 / 123
¹⁴ سورة البقرة الآية (26)
¹⁵ المُحتسب 1 / 64

بمنزلة (الذي) أي لا يستحي أن يضرب الذي هو بعوضة مثلاً فحذف العائد على الموصول وهو مبتدأ).

6) محمد بن مسلم الزُّهري¹:

من أمثلة رسمه، قراءته: (قد شعفها) بالعين المهملة مكان (شغفها)² بالغين المعجمة قال ابن جني³ محتجاً لهذه القراءة: (معناه وصل حبة إلى قلبها، فكاد يُحرقه لِحِدَّتِه، وأصله من البعير يهنأ بالقطران فيصل حرارة ذلك إلى قلبه.... وأما قراءة الجماعة (شغفها) بالغين معجمة فتأويله أنه خرق شغاف قلبها، وهو غلافه).

وفي قراءته⁴ أيضاً أمثلة وافرة للإشتقاق والصيغ، نذكر له مثلاً واحداً حتى لا يطول المقام فإنه قرأ: (أَوْف)⁵ بضم الهمزة وفتح الواو وبتشديد الفاء مكان (أوف) ضم الهمزة فقط قال ابن جني⁶: (ينبغي أن يكون قرأ بذلك لأن (فعلت) أبلغ من (أفعلت) فيكون على (أوف بعهدكم) أي أبلغ في توفيتكم كأنه ضمان منه سبحانه وتعالى أن يعطي الكثير على القليل فيكون ذلك كقوله سبحانه وتعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)⁷.

وأما شواهد الإسناد في قراءته فنزرة يسيرة منها قراءته⁸ (لِيُعْلَمَ مِنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ) بضم الياء وفتح اللام على بناء الفعل للمفعول الذي لم يسمي فاعله، مكان (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ)⁹ على بناء الفعل للفاعل قيل: هو الله تعالى وقيل: هو الرسول نفسه¹⁰.

¹ غاية النهاية 2 / 262

² سورة يوسف الآية (30)

³ المُحتسب 1 / 3339

⁴ المُحتسب 1 / 81 = البحر المحيط 1 / 175

⁵ سورة البقرة الآية (40)

⁶ المُحتسب 1 / 81

⁷ سورة الأنعام الآية (60)

⁸ المُحتسب 1 / 111

⁹ سورة البقرة الآية (143)

¹⁰ البحر المحيط 1 / 424

والإعراب قليل في قراءته أيضاً فقد قرأ¹: (فلا خوفَ عليهم) بفتح الفاء بدلاً من (فلا خوفٌ عليهم)² بالرفع والتثوين. قال أبو حيان الأندلسي³: (وجه قراءة الزهري ومن وافقه ان ذلك نص في العموم فينتفي كل فرد من مدلول الخوف).
هذه فقط نماذج لقراء أكثر من تابعي أهل الشام أردنا الوقوف عليها لنهايتي على ضوءها لسبر أغوار القراءة والإختيار لقارئنا، محل البحث الإمام ابن عامر الدمشقي فألى معالم قراءته، وخصائصها في الفصل التالي.

¹ البحر المحيط 1 / 169

² سورة البقرة الآية (34)

³ البحر المحيط 1 / 167

الفصل الرابع

قراءة الإمام ابن عامر وخصائصها

وفيه مباحث:

- الوجوه الصوتية
- الهمز
- الرسم
- الإشتقاق
- إسناد الأفعال
- الإعراب والتراكيب

مقدمة:

الباحث في قراءة ابن عامر، يجد أنها تأخذ إتجاهات عدة منها الإتجاه الصوتي، المتعلق بالوجوه الصوتية كالمد والقصر والفتح والإمالة والإشمام والإشباع، إلى غير ذلك مما سنفصله، والإتجاه النحوي، الذي نعني به المسائل الإعرابية والتراكيب للجمل والعبارات، كما نلاحظ في إتجاه آخر هو الصرفي الإشتقاق، وأبنية المصادر ثم نتتبع الرسم، والهمز في قراءته وإتجاهات أخرى كثيرة تؤدي جميعها لنتيجة واحدة هي أنها تبين -وفي وضوح- معالم قراءة هذا الإمام وكيف أنه إعتد فيها على قواعد وبُنِيََ محكمة لا تجد فيها عوجاً ولا أمتاً.

وهو في إتجاهاته هذه قليل الموافقة لأئمة القراءة، يشاركهم حيناً الحرف في إتجاه، وينفرد أحياناً كثيرة في حرفٍ، يخالفهم فيه، الأمر الذي أثار عليه غضب، ورفض بعض أئمة التفسير، الذين أنكروا قراءته، وردوها واتهموه فيها بعدم صحة السند، ورميها بأنها قراءة بالرأي لا بالأثر، وأنها تخالف سماع العرب وأقيستهم.

وإننا بداية نعرض هذه القراءة بهذه الإتجاهات التي ذكرنا معتمدين في عرضها على مصدر صاحبه ثقة ثقة هو (كتاب السبعة في القراءات) لابن مجاهد، فهو أوثق من وثق للقراءات وأثبتها. ثم ندرس إتجاهات ابن عامر ووجوه قراءته وجهاً وجهاً، وحرفاً حرفاً، ثم بعد ذلك نتأمل في العاقبة والمآل ونحدد موقفنا من قراءة ابن عامر وغيره من القراء الأئمة الذين رشقهم بعض المفسرين وعلماء النحو بعبارات تقلل من شأن قراءاتهم. ونحن عندما نتعرض لكل ذلك فإننا نسوق وفي تودة وهدوء بال حُجج الجميع نقبل منها ما هو خالصاً صواباً، ونرفض ما نراه مُخالفاً مُعاباً، يدفعنا لكل ما ذكرنا حب جم لكتاب ربنا الذي يجب الدفاع عنه، ذلك الكتاب المعجزة الخالدة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ابن عامر والبسمة:

البسمة هي قولك (بسم الله الرحمن الرحيم) ، كحوقل أي (لا حول ولا قوة إلا بالله). كان ابن عامر يُبسم إذا ابتداء القراءة بأي سورة من السور إلا براءة فإنه لم يكن يُبسم إذا ابتداء بها¹. ولا خلاف في حذفها في هذا الموضع عند كل من بسم بين السورتين، وكذلك في الإبتداء ببراءة على الصحيح عند أهل الأداء². ومن مذاهبه أيضاً ترك البسمة بين السورتين ويختار السكت بين السورتين من غير قطع أي وقف كما يقرره الإمام الداني³ أما إختلاف القراءات في وصل ابن عامر وفصله بين السورتين فعند ابن الجزري بيانه إذ يقول:(أما ابن عامر فقطع له بالوصل صاحب الهداية وهو أحد الوجهين في الكافي والشاطبية وقطع له بالسكت صاحب التلخيص والتبصرة، وابن غلبون وإختيار الداني وبه قرأ على شيخه أبي الحسن ولا يؤخذ في التيسير بسواه وهو الوجه الآخر في الشاطبي. وقطع له بالبسمة صاحب العنوان وصاحب التجريد وجميع العراقيين وهو الوجه الآخر في الكافي، وبه قرأ الداني على الفارسي وأبي الفتح وهو الذي لم يذكر المالكي في الروضة سواه وهو الذي في الكامل⁴).

والبسمة آية في سورة النمل باتفاق قال تعالى : ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾⁵. أما سورة براءة فلا بسمة فيها لجميع القراء وفي ذلك قولان:

الأول: أن سورة براءة والأنفال مضعوهما واحد وهو القتال والجهاد.

الثاني: براءة بدأت بالسيف لقول ابن عباس: (سألت علياً رضي الله عنه لما لم يكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم فقال: لأن بسم الله أمان وبرائة ليس فيها أمان، نزلت بالسيف). ورد الإمام السيوطي هذا الرأي وأورد: أنها لم تكتب لأن جبريل لم ينز بها على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع⁶.

قال الإمام الشاطبي⁷:

¹ النشر 1 / 163

² النشر 1 / 164

³ التيسير ص 17-18

⁴ أنظر أصحاب هذه الكتب في النشر 1 / 58 - 98

⁵ سورة النمل الآية 30

⁶ الاتقان 89/1

⁷ الشاطبية 1 / 72-73

وبسمة بين السورتين سنة رجال نموها درية وتحملا
ووصلك بين السورتين فصاحة وصل واسكن كل جلاياه حصلا

المبحث الأول الوجوه الصوتية

اختلف العلماء في عدد مخارج الحروف ، قال ابن الجزري¹ : (الصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد الفراهيدي ومكي وغيرهم سبعة عشر مخرجا). أما صفات الحروف فمنها المجهورة ، وضدها المهموسة ، ومنها الرخوة ، وضدها الشديدة والشدة إمتناع الصوت أن يجري في الحروف ، ومنها المستغلة والمستعلية إلى غير ذلك .

والتلاوة ثلاثة أنواع : التحقيق ، والتدوير والحدر ، و التحقيق لغة : مصدر من حققت الشيء تحقيقا إذا بلغت يقينه . والتحقق اصطلاحا : إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد ، وتحقيق الهمز ، وإتمام الحركات ، وإعتماد الإظهار ، والتشديدات ، وتوفية الغنات ، ويكون التحقيق لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ وهذا النوع من التلاوة هو الذي قرأ به النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الجمهور . والحدر عكس التحقيق وهو الإسراع بنطق الحروف لأجل زيادة الحسنات من التلاوة وله حد يمتنع معه غيره . والتدوير وسط بين التحقيق والحدر .

والأفضل في التلاوة التحقيق لأجل التدبر والتفكير² . وذلك هو المقصود في أوامر الآيات نحو قوله تعالى (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)³ ، وأيضا قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)⁴ .

تميزت قراءة ابن عامر بوجوه صوتية مختلفة تتصل بالتلاوة منها المد والقصر وغيرها من أحكام علم التجويد وقواعده أما بالنسبة للمد الذي هو زيادة مط في الحرف على المد الطبيعي ، وهو الذي لايقوم ذات حرف المد دونه، والمد أنواع : منها المد المتصل وهو أن يكون المد وسببه في كلمة واحدة مثاله (اولئك) و(بيوت النبي) في قراءة من همز، وقدره أربع إلى خمس حركات، والحركة تقدر بقبض الأصبع أو بسطه. والثاني : المد المنفصل وهو أن يكون المد في كلمة وسببه في كلمة أخرى نحو (بما

¹ النشر 1 / 98

² النشر 1 / 209

³ الفرقان 32

⁴ المزمل 4

أنزل) و (ياً أيها) ومقداره ست حركات. ثم المد اللازم ومثاله (الضالين) و (الحاقّة
(. والقصر ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله¹.

ومن وجوهه الصوتية الفتح والإمالة. والإمالة: أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف
نحو الياء. الفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم ، وأسد ، وقيس² .
ومنهج الإمام ابن عامر أنه يفتح كل الأفعال والأسماء المنتهية عن ياء أو واو ولا يميلها³
ومنها الإشمام بالضم أو بالكسر، وهو إعمال العضو من غير صوت خارج إلى اللفظ فلا
يقرع السمع. وكان ابن عامر يراوح بينهما قال ابن مجاهد⁴: (كان ابن عامر يضم أول
(سُيق) و (سُيء) و (سُيئت) و (حُيل) ويكثر (غيض) و (جِيء) و (قيل) في كل القرآن.
وكان يكثر هاء الكناية وهي هاء الضمير التي يكنى بها عن المفرد المذكر الغائب وسُميت
بهاء الكناية تجوزاً، كما كان يُكسر الهاء المنتهية بالفعل غالباً قال ابن مجاهد⁵: (قرأ ابن
عامر في رواية زكوان: [يؤده إليك] [ونؤتيه منها] [ونوله ونصله] و [فألقه إليهم] و [نؤته]
في عسق كل ذلك بكسر الهاء وهذا - والله أعلم - كأنه يُشم الهاء فيه الضم من غير
مبالغة وقال في [خير يره] [شر يره] بالإشباع وقال هشام ابن عمار: [خيراً يره] [شراً يره]
بالجزم وقال ابن زكوان [أرجئه وأخاه] بكسر الهاء والهمزة وقال في سورة الشعراء
[أرجئه] بهمزتين إحدى الهمزتين مابين الجيم والهاء مع الهمس ولم يذكر غير ذلك قال
أبو بكر ابن مجاهد: معلقاً على ذلك وهذا غلطٌ لا يجوز كسر الهاء مع الهمس وقال هشام
[أرجئه] مهموز وقال الحلواني عن هشام في قوله: [نؤله] و [نصله] و [نؤته] و [فألقه] و
[يؤده] كان ابن عامر لا يشبع الكسر ومن شأنه أيضاً في هذا الإتجاه يُكسر الهاء ويضم
الميم في [عليهم] وأمثالها في حال الوصل⁶ وقال ابن مجاهد⁷: كان أبو عمرو وعاصم
وابن عامر والكسائي يكسرون الهاء ويسكنون الميم فإذا لقي الميم حرفاً ساكناً اختلفوا
وكان عاصم ونافع وابن كثير وابن عامر يضمنون على كسر الهاء ويضمنون الميم إذا
لقيها ساكناً مثل قوله [عليهم الذلة] و [من دونهم إمرأتين] وما أشبه ذلك وكان أبو عمرو

¹ النشر 1 / 113

² الإتيان 91/1

³ كتاب السبعة ص 146-147

⁴ كتاب السبعة ص 142 = حجة القراءات ص 89

⁵ كتب السبعة ص 210

⁶ التيسير ص 9

⁷ كتاب السبعة ص 109

يُكسر الهاء أيضاً ويكسر الميم فيقول: [عليهم الذلة] و [إليهم إثنين] وما أشبه ذلك. وكان أبو عمرو يكسر الهاء أيضاً ويسكر الميم وكان حمزة والكسائي يضمنان الميم والهاء أيضاً فيقولان: [عليهم الذلة] و [من دونهم امرأتين] وما أشبه ذلك وكل ذلك الإختلاف في كسر الهاء وضمها إنما هو في الهاء التي قبلها كسرة أو ياء ساكنة لم يجز فيها إلا الضم أو التسكين مثل [منكم] و [أنتم] .

الإدغام:

الإدغام لغة: عبارة عن إدخال الشيء في الشيء وهو ينقسم إلى كبير وصغير ،فالكبير يكون في المثليين أو المتقاربين سمي كبيراً لتأثيره في إسكان الحرف المتحرك قبل الإدغام ويسمى الإدغام بغنة وحروفه (الياء والنون والميم والواو) مجموعة في كلمة (ينمو) . والصغير : ما اختلف في إدغامه من الحروف السواكن نحو (ومن لم يتب فاولئك) ودال (قد) ولام (هل) و(بل) ولا يكون إلا في المتقاربين¹.

كان ابن عامر يظهر أكثر الحروف ويدغم أقلها، قال ابن مجاهد²: (كان ابن عامر يدغم [اتخذتم] و[لتخذت] و[اخذتم] وما أشبه ذلك، ويظهر [عدت] و[لبثت] ويظهر الثاء في [اورثتموها] ويظهر الذال في [نبذتها] ويدغم دال [قد] في الضاد مثل [قد ضل] ولا يستمر على قياس واحد في تاء التانيث المتصلة بالفعل..... وكلهم يظهر النون الساكنة والتنوين عند الهمزة والهاء والحاء والخاء والعين والغين).

وقول شيخنا بن مجاهد: (لا يستمر على قياس واحد) لايعني أنه يقرأ برأيه وكيفما اتفق، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ان يقرأ قرآنه بالرأي وحاشى إمامنا ابن عامر أن يفعل مثل ذلك كل ما في الأمر أنه يتبع ما سمع من قراءة صحيحة فالقراءة (سنة متبعة) كما قال سلفنا الصالح ، وعلم التجويد علم أداء ، والأداء الصوتي مع صعوبة ضبطه إلا أن الأئمة القراء قد ضبطوه واجتهدوا فيه فجزاهم الله خيراً.

ياءات الإضافة:

¹ الكشف عن وجوه القراءات 1 / 143
² كتب السبعة ص 123 = النشر 2 / 2

ياء الإضافة هي الضمير المتصل بالإسم والفعل والحرف وقد أطلق عليها العلماء هذه التسمية تجوزاً¹ وإختيار ابن عامر هنا تسكين ياءات الإضافة لا يفتح إلا أقلها، قال مكي القيسي² كان ابن عامر: (يسكن جميع ياءات الإضافة المختلف فيها إلا ثلاثاً وأربعين ياءً فإنه فتحها وستراها في أواخر السور).

¹ النشر 2 / 161
² الكشف عن وجوه القراءات السبع 1 / 329

المبحث الثاني

الهمز

الهمزة إما همزة قطع وهذه حكمها الإظهار لبعض القراء ، أو همزة وصل وحكمها الإخفاء عند بعضهم¹. ومذهب ابن عامر فيها يحتوي على ثلاثة مواقف في النطق بالهمز والتصرف معه فهو ، إما يحقق أو يخفف أو يحذف الهمزة ، ونحن هنا نبسط القول في بيان ذلك فقولنا (يحقق) يعني يظهرها في النطق بما فيها نبر أفاده - كما سيأتي - من تأثره بالبادية. وكان ابن عامر يحقق الهمزة المفردة في الكلمة وكان يحقق الهمزتين المجتمعتين في كلمة واحدة، وكان يحقق الهمزتين المتلاصقتين في كلمتين أيضاً، قال ابن مجاهد²: (كان نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر حمزة والكسائي يهمزون [يؤمنون] وما أشبه ذلك مثل [يأكلون] و[يأمررون] و [يؤتون] ساكنة الهمزة أو متحركة مثل [يؤخركم] و[يؤده] إلا أن حمزة كان يستحب ترك الهمز في القرآن كله إذا أراد أن يقف، والباقون يقفون بالهمز كما يصلون).

ومن مذاهب ابن عامر مع الهمز أيضاً : أنه كان يقلب الياء همزة في بعض الأفعال، قال ابن مجاهد³: (روي هشام ابن عامر بإسناده عن ابن عامر [هئت لك] ... , وقال الحلواني عن هشام [هئت لك]، يهمز ويفتح التاء ويكسر الهاء.

ومذهب آخر مع الهمز يجانب فيه إخوانه القراء وهو قطع همزة الوصل في بعض الأفعال، قال ابن مجاهد⁴ (قرأ ابن عامر وحده [أخي. أشدد به أزري] الألف مقطوعة مفتوحة والياء ساكنة [وأشركه] الألف مضمومة علي الجواب والمجازاه. وقرأ الباقون [أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري] مفتوحة الألف على الدعاء.

والتخفيف للهمز هو من شأن ابن عامر أي في التصرف مع الهمز فهو يخففها في بعض الأفعال والأسماء قال ابن مجاهد⁵: (كلهم قرأ [أنبيهم]) بالهمز وضم الهاء إلا ما حدثني أحمد بن محمد بن بكر عن هشام بن عمار، عن أصحابه عن ابن عامر : [أنبيهم]

¹ النشر 198/1

² كتب السبعة ص 130

³ كتاب السبعة ص 347

⁴ كتاب السبعة ص 418

⁵ كتاب السبعة ص 153 = الخجة في القراءات السبع ص 51

بكسر الهاء وينبغي أن تكون غير مهموزة لأنه لايجوز كسر الهاء مع الهمز فتكون مثل [عليهم].

وهناك أمثلة أخرى لتخفيف الهمز في قراءته وحذفه نحو قراءته: (التناوش) بدل (التناؤش) [وسال] بدل [سأل] يحذفها جملة وتفصيلاً¹ ومثال ذلك موقفه من همزة الإستفهام، يسقطها في ألفاظ معدودة من القرآن الكريم، قال ابن مجاهد²: (قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم: [إنكم لتأتون الفاحشة] بغير إستفهام) ثم يذكر ابن مجاهد رواية أخرى غير رواية ابن كوان: فيها التحقيق قال ابن مجاهد: (فكان قراءته [أنكم] يمد بين الهمزتين). قال الشاطبي:

وتسهيل أخرى همزتين بكلمة سما وبذات الفتح خلف ليجملا

وقل ألفا عن أهل مصر تبدلت لورش وفي بغداد يروى مسهلا

وابن مجاهد يستقصي شواهد الهمز في قراءة ابن عامر في سائر القرآن وفعل ابن زنجلة ، والداني، وابن الجزري مثل ذلك³.

وظاهرة الهمز كأحدى ظواهر اللغة وجدت حظها من الدرس قديماً وحديثاً وكتابتنا المعاصرون فهذا إبراهيم أنيس يتناولها ووضح له أن تحقيق الهمز من خصائص اللهجات البدوية، وأن القبائل البدوية تلجأ إليه للتخفيف من سرعة النطق وقوة النبر في كلامها⁴ أما القبائل الحضرية -والكلام لأنيس- فكانت متأنية في نطقها، متئدة في أدائها، ولم يشتهر عنها إدغام أو إمالة، ولذلك لم يكن بها حاجة إلى التماس المزيد من مظاهر الأناة، فأهملت همز كلماتها، وعدلت عن المبالغة في النبر ووالتوتر، واستعاضت عن ذلك بوسائل عبر عنها النحاة بعبارات مختلفة كالتسهيل والتخفيف والتلين والإبدال والإسقاط⁵.

¹ كتاب اسبعة ص 350 = حجة القراءات ص 721

² كتاب السبعة ص 499 = التيسير ص 32

³ يرجع إلى كتب هؤلاء الأعلام في مواطن متفرقة

⁴ في اللهجات العربية ص 66، 98، 99، 120

⁵ السابق ص 67، 69، 127

والدكتور عبد الصبور شاهين -حفظه الله- له بحث قيم وقف فيه على هذه الظاهرة وأكد ما ذهب إليه (أنيس) في إرجاعه الهمز إلى القبائل البدوية واكتشف أن ظاهرة الهمز (صورة من صور النبر في الفصحى القديمة)¹.

والآن نريد أن نقول أن هذه البداوة التي ولدت ظاهرة الهمز كانت البيئة التي نشأ بها إمامنا ابن عامر وترعرع فيها، وشرب عللاً بعد نهل، لأنه نشأ في بادية (حوران) في بادية الشام أو بادية (البلقاء) قبل أن يرحل إلى دمشق ويلزم المدينة (الحضر) في سن التاسعة تلك السن المبكرة وما تحقيقه للهمز إلا أثر واضح لبيئة البداوة التي نشأ فيها، وكما قالوا قديماً: الإنسان ابن بيئته.

¹ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص 30

المبحث الثالث الرسم

نقصد بالرسم العثماني الخط الذي كتبت به مصاحف الخليفة عثمان رضي الله عنه المجمع عليها والتي أرسلها إلى الأمصار وهو خاص بالحروف¹. وقد كان هذا الرسم في بداية أمره خالياً من النقط والشكل وينقسم إلى قسمين : قياسي وهو ما طابق فيه الخط اللفظ ، واصطلاحي وهو ما خالف اللفظ بزيادة أو حذف ، أو بدل ، أو وصل أو فصل². مر بنا الحديث عن أركان القراءة الصحيحة التي لا تصح القراءة إلا بتضافرها جميعاً وهي : صحة السند وموافقة الرسم وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية. ولعله من البين أن احتمال الحرف (الكلمة المختلف فيها) لأكثر من وجه كان سببه رسم الحروف الهجائية بلا نقط وبلا شكل في بداية الكتابة العربية الأمر الذي ولد المهمل والمعجم من الحروف فجعل حرف النون يحتمل حرف التاء وحرف التاء يحتمل الياء وهكذا والشرط في ذلك أن لا يؤدي الحرف المحتمل معنى مغايراً للمعنى الآخر والسماع.

وفي قراءة ابن عامر سنقف على شواهد مختصرة فمن ذلك قول ابن مجاهد³: (قرأ حمزة (فأزالهما) بألف خفيفة وقرأ الباقون (فأزلهما) مشددة بغير ألف ...) جاء في التفسير⁴ (فأزالهما) قراءة عامتهم تشديد اللام بمعنى استزلهما من قولك : زلَّ الرجل في دينه إذا هفا فيه وأخطأ ... وقرأه آخرون (فأزالهما) : بمعنى إزالة الشيء وذلك تنحيته عنه . وقال : (قرأ حمزة والكسائي [فيهما إثم كثير] بالتاء، وقرأ الباقون [إثم كبير] وعلى شاكلة ذلك أيضاً ذكر ابن مجاهد⁵ لقراءة [يشري] يقرأها ابن عامر [نشري] مضمومة النون ساكنة الشين، وإنفرد أمامنا بقراءة [هو الذي ينشركم] بينما قرأ الباقون [يُسيركم] بضم الياء وفتح السين).

انظر الشكل والضبط وكيف تسبب فعله في هذا الوجه أو ذاك، فشواهد في الرسم كثيرة ليس همنا إستقصائها غير أننا نذكر نماذج أثبتتها ابن مجاهد فيما عني - [لنا كثيراً] يقرأها ابن عامر [لنا كثيراً].

¹ النشر 128/2

² السابق

³ كتاب السبعة ص 153 = النشر 211 / 2

⁴ تفسير الطبري 234/1

⁵ كتاب السبعة ص 182 = النشر 227 / 2

- [و عباد الرحمن] يقرأها [عند الرحمن].

- [إذا أدبر] يقرأها [إذا دبر].

- [بضنين] يخالف ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويقرأها¹ [بضنين].

- [وللدار الآخرة]² كلهم قرأها بلامين بينما قرأها ابن عامر بلام واحدة [ولدار الآخرة] وهذا من قبيل إنفراداته.

- [وما كنا لنهتدي]³ كلهم قرأها بواو وقرأها ابن عامر بغير واو ويقول ابن مجاهد (وكذلك هي في مصاحف الشام). إشارة إلى التزام إمامنا بالرسم الموجود في مصحف الشام.

- [...من مصيبة فيما كسبت أيديكم]⁴ بحذف الفاء [بما كسبت أيديكم] وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام، [هو الغني الحميد]⁵ قرأها ابن عامر ونافع [فإن الله الغني الحميد] يسقطان كلمة كاملة [هو].

- [وتوكل] قرأها ابن عامر ونافع [فتوكل]⁶ يستعويض الواو فاء والسبب أنها هكذا وجدت في مصاحفهم.

- [كانوا أشد منكم قوة]⁷ إنفرد ابن عامر بقراءتها [كانوا أشد منهم قوة] بالكاف ويقرر ابن مجاهد: وكذلك في مصاحفهم. والتغيير الذي أحدثه الرسم هنا يتعلق بالضمير كما تعلق بالرسم من قبل.

وقرأ ابن عامر كثيراً من الكلمات بصيغة معينة وأضاف إليها حرفاً أو حذف منها حرفاً، وقرأها بعض القراء بصيغة أخرى وهنا تتداخل أمثلة الرسم الإشتقاق وبصيغ الأفعال والصفات والأسماء والجموع وها نحن نمثل في إيجاز لكل ذلك:

- [ملك] بغير ألف قراءة ابن عامر وغيره قرأ [مالك].

¹ كتاب السبعة ص 528، 585، 658، 659، 673

² كتاب السبعة ص 256 = حجة القراءات ص 246

³ كتاب السبعة ص 318 = حجة القراءات ص 373 = النشر 2 / 281

⁴ كتاب السبعة ص 581 = النشر 2 / 367

⁵ كتاب السبعة ص 627 = التيسير 208 = النشر 2 / 384

⁶ كتاب السبعة ص 473 = التيسير 991

⁷ كتاب السبعة ص 569 = إتحاف فضلاء البشر ص 378

- [أسارى] بألف وغيره قرأ [أسرى] بغير ألف.

- [قيماً] مخففة وغيره قرأها [قيماً] منقلبة.

- [دفعُ] بغير ألف وغيره [دفاع] بألف.

- [السلم] غيره [السلام].

- [الطائف] غيره [طيف].

هو كما ترى لا يسير في هذا المنحى على قاعدة واحدة فهو يأتي بصيغة ثم ينصرف إلى أخرى ويوحّد مرة ويجمع أخرى كما في الأمثلة الآتية:

- [خطيبته] قرأ غيره [خطيباته] على الجمع.

- [مكانتكم] قرأ غيره [مكاناتكم] على الجمع.

- [مساكين] قرأها غيره [مسكين] بالتوحيد.

- [رسلاتي] قرأ غيره [رسالتي] بالتوحيد.

- [كلمات] قرأ غيره [كلمة] بالتوحيد¹.

¹ كتاب السبعة ص ص 528، 535، 577، 581، 601 (لكل الكلمات الواردة)

المبحث الرابع

الإشتقاق

تمهيد:

الإسم المشتق : هو ما اشتق من غيره ودل على ذات وحدث ينسب إليها .فقولك عالم يدل على انسان وصف بالعلم وحامل يدل عل امرأة نسب إليها الحمل.ويشترط فيه أن يقارب أصله في المعنى نحو الجاهل فهو يقارب الجهل¹ .وفائدة الإشتقاق الإيجاز وهو يدل على سعة العربية وغناؤها وللتأكيد على ذلك نسوق موقفاً للإمام الكسائي وقد سأله عيسى بن عمر الثقفي كيف تقرأ هذا الحرف : (أرسله معنًا غدًا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون) قال الكسائي: (يرتع ويلعب) بالسكون فقال له عيسى : ولم لم تقل (يرتعي ويلعب) فثبت الياء أو تشير إليها فقال الكسائي : إنما هي من رتعت لا من رعيت، فقال عيسى بن عمر: صدقت ياأبا الحسن² .

لأن شواهد الإشتقاق وإسناد الأفعال والإعراب كثيرة مكررة في قراءة ابن عامر ويقتضي وضع هذه الدراسة الإختصار، لذلك نكتفي بذكر الشواهد الواردة في سورة البقرة وسورة آل عمران لكل الإتجاهات التي ذكرنا لإعتبارين الأول :أنهما من السبع الطوال في القرآن الكريم ،وهذا يفسح المجال واسعا أمام النماذج المتباينة المتعددة. والثاني :لبركتهما وأنهما تشفعان لصاحبهما يوم القيامة .

وإننا - إن شاء الله - نعتد على مسبع السبعة (ابن مجاهد) في توثيق القراءة في كتابه المعهود لنا الموسوم بـ (كتاب السبعة في القراءات) ونسوق معنا مصادر الإحتجاج للقراءات وكتب اللغة والمعاني كاشفين - بإذن الله - أسرار هذه اللغة الشريفة وتفننها في أساليب الكلام ومذاهبه. فاللغة العربية شرفُت بالقرآن فهو مَجْرٌ ينابيعها العذبة، ومرعاها الخصب وهذه غايتنا من هذه الدراسة وانعم بها من غاية.

¹ بتصرف يسير من كتاب تصريف الأسماء والأفعال د. فخر الدين قباوة بيروت مكتبة المعارف ط 1988 .

² معاني القرآن للكسائي، أعاد بناءه وقدم له د. عيسى شحاتة عيسى نشر دترقباء (القاهرة) 1998 ص 27 .

القسم الأول: توجيه سورة البقرة

أولاً: شواهد الإشتقاق

كان ابن عامر يختار بعض صيغ الأفعال والمصادر والأسماء، وافق في ذلك فئة قليلة أو كثيرة من القراء السبعة تارة، ومخالفاً جمهورهم، وجماعتهم تارة أخرى. فقد كان ابن عامر يفتح حرف المضارعة من بعض الأفعال¹ لأنه كان يقرأها ثلاثية وكان غيره يضمونها لأنهم كانوا يقرأونها رباعية، وكان يضم حرف المضارعة من أفعال أخرى لأنه كان يقرأها رباعية، وكان غيره من القراء يفتحونها لأنهم يقرأونها ثلاثية سنقف على أمثلة ذلك بالتفصيل انشاء الله .

ومن تصرفه في الصيغ أيضاً، أنه كان يشدد عين بعض الأفعال ويضعفها² لأنه كان يقرأها رباعية، وكان غيره من القراء لا يشددونها ولا يضعفونها، لأنهم كانوا يقرأونها ثلاثية . وكان يقرأ الأفعال المتعدية بصيغة (فاعل) و كان غيره يقرأونها بصيغة (فعل) وكان يعدي بعض الأفعال بالهمزة، وكان غيره يكسرونها، وكان يُحرك عين بعض المصادر ويضمها، وكان غيره من القراء يسكنونها، كان يقرأ بعض الاسماء بصيغة المفعول، وكان غيره من القراء يقرأونها بصيغة الفاعل. وإليك أمثلة كل ذلك :

* (يُخَادِعُونَ) من قوله تعالى : (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) قال ابن مجاهد³: (قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: [يُخَادِعُونَ ...، ومايُخَادِعُونَ] بالألف والياء المضمومة وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: [يُخَادِعُونَ ...، ومايخادعون]⁴ والحجة في قراءة (يُخَادِعُونَ) مناسبة اللفظ لما قبله [يخادعون الله والذين آمنوا] وعلى هذا يجوز أن تكون المفاعلة من الجانبين إذ المنافقون يخادعون أنفسهم بما يمنونها من أباطيل وهي تمنيمهم كذلك أو تكون المخادعة من جانب واحد فتكون المفاعلة ليست على بابها وحينئذٍ توافق هذه القراءة قراءة ابن عامر [يخادعون] على أنه مضارع [خَدَعَ]⁵.

¹ حجة القراءات ص 130 = التيسير ص 80

² النشر 2 / 243 = حجة القراءات ص 275

³ كتاب السبعة ص 139

⁴ سورة البقرة الآية (9)

⁵ النشر 2 / 392

قال الإمام الشاطبي¹ :

لا يخدعون الفتح من قبل ساكن وبعد ذكا والغير كالحرف أولاً
ملاحظة: قوله تعالى: (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ)².

اتفق القراء على قراءته [يَخْدَعُوكَ] بفتح الياء وإسكان الخاء ولم يجر فيها الخلاف
الذي في يخادعون وما ذلك إلا لأن القراءة سنة متبعة ومبنية على التوقيف.
وفي هذه القراءة لون من البلاغة عجيب وهو أن المشاكلة في قوله [يُخَادِعُونَ] لأن
المفاعلة تفتضي المشاركة في المعنى فقد أطلق عليه تعالى مقابلاً لما ذكره من خداع
المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم ومن أمثلة هذا الفن في الشعر العربي قول بعضهم:

قالوا: التمس شيئاً نجد لك طبخه

قلت: أطبخوا لي جبة وقميصاً³

* (يُكذِبُونَ) من قوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا
كَانُوا يَكْذِبُونَ) قال ابن مجاهد⁴: (قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: [يُكذِبُونَ]
بتشديد الذال وضم الياء، فقرأ عاصم وحزمة والكسائي [يُكذِبُونَ] خفيفة بفتح الياء وتخفيف
الذال). قراءة ابن من عامر وأصحابه بالتشديد على أنه مضارع [كذب] المضعف من
التكذيب لله، ولرسوله وقد عدى بالتضعيف والمفعول محذوف تقديره (يُكذِبُونَهُ) والقراءة
الأخرى على أنه مضارع [كذب] اللازم وهو من الكذب الذي اتصف به كما أخبر الله
عنهم⁵.

قال الزبيدي⁶ في مادة [كذب] يقال: (كذب، يُكذب) من باب [ضرب، يَضرب] ثم
يقول الزبيدي قال شيخنا: وهو غريب في المصادر لأنه لم يأتي مصدر على هذا الوزن إلا
ألفاظاً قليلة أما الأسماء فكثيره⁷ أهـ.

قال الإمام الشاطبي¹:

¹ الشاطبية 285/1

² سورة الأنفال الآية (62)

³ محي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه 1 / 33

⁴ كتاب السبعة 1 / 141

⁵ النشر 1 / 392 = اتحاف فضلاء البشر ص 129

⁶ معجم المؤلفين 11 / 282

⁷ تاج العروس 1 / 447

وخفف كوف يكذبون وياءه بفتح وللباقيين ضم وثقلا

* (تظَاهرون) من قول تعالى (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتِوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَلَا تُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)²

- (تظَاهرون) مشددة الظاء بألف قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر³ على إدغام التاء في الظاء⁴.

- (تظَاهرون) مخففة الظاء قراءة عاصم والكسائي وحمزة على الأصل وأصلها) تتظاهرون) فحذف أحد التائين تخفيفاً.

[ومعنى ظهر الشيء] أصله أن يجعل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى ثم صار مستعملاً في كل بارز مبصر بالبصر والبصيرة قال تعالى: [وَأَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ]. ويقال [ظَهَرَ عَلَيْهِ] أي غلبه قال تعالى: [إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ]⁵، ويقال [ظَاهَرَتْهُ]⁶ أي عاونته قال تعالى (وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ)⁷. قال الإمام الشاطبي⁸:

وتظاهرون الظاء خفف ثابتاً وعنهم لدى التحريم أيضاً تحللاً

* (أسارى) من قوله تعالى: (وَإِن يَأْتِوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ)⁹.

- (أسرى) قراءة حمزة¹⁰ بفتح الهمزة وإسكان السين وحذف الألف بعدها على وزن [فَعْلَى] جمع [أسير] مثل [جريح] و [قتيل] بمعنى [أسور] و [مجروح]، و [مقتول] فلما كان جريح و قتيل جمعان على [فَعْلَى] ولا يجمعان على [فَعْلَى] فعل بأسرى ذلك فهو أصله¹¹.

¹ الشطبية 295/1

² سورة البقرة الآية (85)

³ كتاب السبعة ص 163

⁴ حجة القراءات ص 103 = النشر 1 / 410

⁵ سورة الكهف الآية (220)

⁶ المفرداتي في غريب القرآن ص 119

⁷ سورة الممتحنة الآية (9)

⁸ الشطبية 349/1

⁹ سورة البقرة الآية (85)

¹⁰ كتاب السبعة ص 163

¹¹ ألفية ابن مالك: فعلى لوصف كقتيل

- (أسارى) بضم الهمزة وفتح السين¹ وإثبات ألف بعدها جمع [أسرى] مثل [سكرى سكارى] و فيكون [أسارى] جمع الجمع وقيل [أسارى] جمع [أسير] نحو [كسالى] جمع [كسيل]².

والأثر في اللغة الشد بالقيد وسمى الأسير بذل ثم قيل لكل مأخوذ ومقيد وإن لم يكن مشدوداً³.

قال الشاطبي⁴:

وحمزة أسرى في أسارى وضمهم تقادوهم والمدّ إذ راق نفلا

* (تقادوهم) من قوله تعالى (وإن يأتوكم أسارى تقادوهم)⁵.

- (تقادوهم) قراءة نافع وعاصم والكسائي⁶ من [قَاد] وهذه القراءة تحتل أحد معنيين:

الأول: أن تكون المفاعلة على بابها إذ الأصل فيها أن تكون بين فريقين.

الثاني: أن تكون المفاعلة ليست على بابها مثل قول ابن عباس Ψ : (فاديت نفسي) وحينئذٍ تتحد هذه القراءة مع القراءة الآتية.

- (تقدوهم) قراءة الباقيين (فدى) فالفعل من جانب واحد إذ لا يكون كل واحد من الفريقين غالباً وحينئذٍ أحد الفريقين يفدي صاحبه من الفريق الآخر بمال أو غيره⁷.

إذا فتحوا الفاء قصروها فقالوا: (فدى لك) وإذا كسروا الفاء مدوا واستشهد بقول

متمم بن نويرة:

فداءً لممساك يابن أمي وخالتي

وأمي وما فوق الشراكين من نعلي

وربما كسروا الفاء وقصروها فقالوا: (هم فدى لك)⁸.

¹ كتاب السبعة ص 163

² النشر 2 / 410 = حجة القراءات 104

³ المفردات في غريب القرآن ص 17

⁴ الشاطبية 350/1

⁵ سورة البقرة الآية (85)

⁶ كتاب السبعة ص 163

⁷ النشر 2 / 411

⁸ تاج العروس 10 / 277

* (نُسِخَ) من قوله تعالى: (مَا نُنَسِّخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّثْلَهَا أَمْ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ¹.

- (نُسِخَ) قراءة ابن عامر وحده ² مضارع [نُسِخَ] قال مكي بن أبي طالب ت 437:
(على جعله رباعياً من أنسخته الكتاب على معنى وجدته منسوخاً مثل أحمدت الرجل وجدته محموداً. معنى [أنسخت] بمعنى [نسخت] إذ لم يُسمع ذلك ولا يحسن أن تكون الهمزة بالتعدي لأن المعنى يتغير ويصير [مانسختك] يامحمد من آية] وإنساخه إياها إنزالها عليه فيصير المعنى [ماننزل عليك من آية أو ننسخها نأتي بخير منها] ويؤول المعنى إلى أن كل آية أنزلت أتي بخير منها فيصير القرآن كله منسوخاً وهذا لا يمكن لأنه لم ينسخ إلا يسير من القرآن ! فلما امتنع أن يكون [أفعل] و [أفعل] بمعنى إذ لم يُسمع وامتنع أن يكون الهمزة بالتعدي لفساد المعنى، لم يبق إلا أن يكون من باب [أحمدته] وجدته محموداً ³.

- (نسخ) بفتح النون قراءة الباقيين ⁴ على انه مضارع [نسخ] على معنى مانرفع من حكم آية ونبقي تلاوتها نأتي بخير منها لكم أو مثلها ⁵.
ويحتمل أن يكون المعنى مانرفع من حكم آية وتلاوتها أو نُسِكها يا [محمد] فلا تحفظ تلاوتها، نأتي بخير منها أو مثلها.
والنسخ في اللغة يأتي على معان منها:

- النقل: نحو نسخت كتابي من كتاب فلان أي نقلته منه ⁶.

- الإزالة: نحو نسخت الشمس الظل أزالته وحلت محله ⁷.

وفي إصطلاح علماء الأصول هو: بيان إنتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه ⁸. يعني إلغاء حكم شرعي متقدم بمتأخر.

¹ سورة البقرة الآية (106)

² كتاب السبعة ص 168

³ الكشف عن وجوه القراءات 1 / 257

⁴ كتاب السبعة ص 168

⁵ النشر 2 / 414

⁶ أساس البلاغة 2 / 438

⁷ تاج العروس 2 / 282

⁸ مختصر صفوة البيان 2 / 43

قال الشاطبي¹:

وننسخ به ضم وكسر كفى وكنـ سها مثله من غير همز نكت إلى
* (ولتكمّلوا العدة) من قوله تعالى: (لِيُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ)².

- (ولتكمّلوا) مشددة قراءة عاصم في رواية أبي بكر³ على أنه مضارع (كمّل) مضاعف العين .

- (ولتكمّلوا) خفيفة⁴ قراءة الباقيين على أنه مضارع (أكمّل) المزيد بالهمزة⁵.
قال الشاطبي⁶: وفي تكملوا قل شعبة الميم ثقلا .

وكمال الشيء: حصول ما فيه الغرض⁷ منه قال الزبيدي: (كمل) فيه ثلاثة لغات: فتح العين، وضمها، وكسرها.

قال الجوهرى: (الكسر أردأها)⁸.

* قوله تعالى: (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ).

- (ولاتقتلوههم ...، يقتلوكم، قاتلوكم، فاقتلوههم) بحذف الألف فيهما وفتح تاء الفعل الأول وياء الثاني وإسكان القاف فيهما قراءة حمزة والكسائي⁹ (من القتل).
- (تقاتلوههم، يقتلوكم، قاتلوكم فاقاتلوههم) باثبات الألف قراءة الباقيين من (القتال)¹⁰.

وابن زنجلة¹¹ يورد حجة كل قراءة إذ يقول في قراءة من أثبت الألف: (حجتهم قوله (ولاتقاتلوههم) بالألف أي لاتحاربوهم حتي يحاربوكم فان حاربوكم فاقتلوههم وحجتهم قوله

¹ الشاطبية 340/1

6سورة البقرة الآية (185)

7كتاب السبعة ص 176

8السابق نفس اصفحة

⁵ النشر 2 / 427

⁶ الشاطبية 343/1 .

⁷ المفردات في غريب القرآن مادة (كمل) ص 441

2 تاج العروس مادة (كمل) 8 / 104

⁹ كتاب السبعة ص 179

4النشر 2 / 458

¹¹ حجة القراءات ص 128

تعالى: [وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم] وحجة أخرى وهي أن القتال إنما يؤمر به الأحياء فأما المقتولون، فإنهم لا يقاتلون فيؤمروا به وإذا قرئ (ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه) كان ظاهره أمراً للمقتول بقتل القاتلين وذلك محال إذا حمل على ظاهره.

ثم يحتج ابن زنجلة بقراءة الحذف بأنها أبلغ في المدح والثناء.

قال الشاطبي:¹

ولا تقتلوهم بعده يقتلوكمو فإن قصروها شاع وانجلا

* (عُرْفَة) من قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ عُرْفَةً بِيَدِهِ...) ² .

- (عُرْفَة) قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ³ على أنها اسم للماء المغترف، والمعنى: إلا من اغترف ماءً على قدر ملء اليد.

- (عُرْفَة) قراءة البقية بفتح الغين على أنها اسم للمرة ⁴ جاء في المفردات ⁵ (العُرْف) بفتح الغين وسكون الراء رفع الشيء وتناوله يقال: غرفة الماء والمرق.

قال الشاطبي ⁶ : وقصر خصوصاً ضم ذو ولا .

و(العُرْفَة) ⁷ أيضاً عُلِيَّة من البناء بضم عين عليَّة قال تعالى : (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا) ⁸.

* (يَحْسَبُهُمْ) من قوله تعالى: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) ⁹.

- (يَحْسَبُهُمْ) بفتح السين قراءة ابن عامر، وعاصم، وحمزة وهو لغة تميم.

6 الشاطبية ص 355

7 سورة البقرة 249

8 كتاب السبعة 187

4 النشر 2 / 436

5 المفردات في غريب القرآن مادة (غرف) ص 360

6 الشاطبية 1 / 348

7 تاج العروس مادة (غرف) 6 / 209

8 سورة الفرقان الآية (75)

9 سورة البقرة الآية (273)

- (يحسبهم) الباقون بكسر السين وهو لغة أهل الحجاز والقراءتان ترجعان إلى أصل الإشتقاق فالأولى: من [حسب، يحسب] نحو [علم، يعلم] والثانية: من [حسب، يحسب] نحو [ورث، يرث].

يذكرُ الجوهري في تهذيبه حسبت الشيء أحسبه حسباناً بالكسر ... وحساباً. قال الزُّهري: وإنما يسمى الحساب في المعاملة حساباً لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيها زيادة عن المقدار ولانقضان¹. ومن الشواهد القرآنية في ذلك قوله تعالى: (لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ)². قال الشاطبي³:

ويحسب كسر السين مستقبلاً سما رضاه ولم يلزم قياساً مؤصلاً

¹ تاج العروس 1 / 210 = المفردات في غريب القرآن ص 116 - 118

² سورة الاسراء 12س

³ الشاطبية 358/1

المبحث الخامس

إسناد الأفعال

وهذا إتجاه آخر من إتجاهات ابن عامر وقد كان يقرأ بعض الأفعال بالخطاب، وبعضها الآخر بالغيبة موافقاً طائفة من إخوانه القراء حيناً، ومفارقاً لهم حيناً آخر وقد كان يسند بعض الأفعال إلى جماعة المخاطبين والمتكلمين، وكان غيره يسندونها إلى جماعة الغائبين وكان يسند بعض الأفعال إلى المفرد المذكر¹ وكان غيره يسندها إلى المفرد المؤنث وعكس ذلك. كما كان يسند بعض الأفعال إلى المفرد الغائب وكان غيره يسندونها إلى جماعة المتكلمين، وكان يسند بعض الأفعال على المفرد المخاطب، وكان غيره يسندونها إلى جماعة الغائبين، وكان يسند بعض الأفعال بالمثلى المذكر وكان غيره من القراء يسندونها إلى المفرد المذكر وهاك شواهد هذه الإسنادات المختلف.

* (وَلَا تُقْبَلُ) من قوله تعالى: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) (2).

- (وَلَا يُقْبَلُ) قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي³ بالياء.

- (وَلَا تُقْبَلُ) قراءة ابن كثير وأبو عمر.

وحجة من قرأ بالتاء أنه أسندوه إلى شفاعة المؤنث، وحجة من قرأ بالياء أن الشفاعة تأنيثها غير حقيقي فلك في لفظه في الفعل التذكير والتأنيث تقول: (قد قبل منك الشفاعة) و (قبلت منك)، ولك نحو قوله تعالى: [فمن جاءه موعظة]⁴، لأن موعظة ووعظ وشفاعة وشفع واحد

فلذلك جاز التذكير التأنيث على اللفظ والمعنى⁵ ومن ذلك قول الشاعر⁶:

إلى رجلٍ منكم أسيف كأنما يضم إلى كشحيه كفاً مخضباً

¹ معاني القرآن للفراء 3 / 33

² سورة البقرة الآية (48)

³ كتاب السبعة ص 154

⁴ سورة هود الآية (94)

⁵ حجة القراءات ص 93

⁶ ديوان الأعشى ص 165 = الإنصاف 2 / 776

ولم يقل مخضبة كما قال الفراء عن بعض الشعراء¹:

إن السماحة والمروءة ضمنا

قبراً بمرّو على الطريق الواضح

ولم يقل بالتأنيث فذكر الفعل.

وحجة أخرى: ما نقله ابن خالويه من حديث ابن مسعود أنه قال: إذا اختلفتم في الباء والتاء فأجعلوها ياء فلهذه الحجج جاز تذكير الفعل وتأنيثه.

ومما ورد أيضاً من ذكر الشفاعة في القرآن الكريم قوله تعالى: (وَلَا تَتَفَعُّ الشَّقَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أُنِىَ لَهُ...)²، وأيضاً قوله تعالى: (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّقَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)³.

قال الشاطبي⁴:

ولا بيع نونه ولا خلة ولا شفاعة وأرفعن ذا أسوة تلا

* (نغفر لكم) من قوله تعالى: (نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)⁵: قرأ نافع⁶ وحده بالياء وهي مضمونة. وقرأ ابن عامر باتاء وهي أيضاً مضمومة وقرأ الباقون بالنون.

- (نغفر) قراءة ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة والكسائي بالنون مفتوحة وكسر الفاء على الإسناد للفاعل ذلك لأن (نغفر) جاء بين خيرين عن إخبار الله عن نفسه وقدروا بالنون (قلنا أدخلوا...) (وسنزيد المحسنين).

- (نغفر) قراءة ابن عامر بتاء التأنيث مضمومة وفتح التاء على البناء للمجهول و (خطاياكم) نائب فاعل⁷.

* (يعملون) من قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِن خَشْيَةِ اللَّهِ...)⁸.

¹ الإنصاف 2 / 763

² سورة سبأ 23

³ سورة الزخرف 86

⁴ الشاطبية 1/249

⁵ سورة البقرة الآية (58)

⁶ كتاب السبعة ص 156

⁷ النشر 2 / 404 = حجة القراءات 97

⁸ سورة البقرة الآية (74) وأيضاً الآية (175)

- (يعملون) ببناء الغيبة قرأ بها ابن كثير¹ على الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة أي :
وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء الذين قصصنا عليكم قصصهم أنهم مسلمون.

- (تعملون) قراءة الباقيين ببناء الخطاب جرياً على نسق ما قبله من قوله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ)².

وأسلوب الإلتفات الذي ذكرنا من أجل أساليب البلاغة وأسماها وأطربني قول جامع للإمام أبو الفتح يذكر فيه شرف اللغة العربية وقدسيتها وقد رد على من زعم أن الإلتفات يحتج به لإتساع اللغة العربية وإستيعابها لكل مجرى للكلام قائلاً: (يُقَالُ هَذَا - أَيْ الْإِتْسَاعُ - إِذَا عُرِيَ الْمَوْضِعُ مِنْ غَرَضٍ مُعْتَمَدٍ ، وَسِرّاً عَلَى مِثْلِهِ تَتَعَدَّدُ الْيَدُ فَمِنْهُ قَوْلُهُ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)³ هذا بعد قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)⁴ فليس ترك الغيبة إلى الخطاب هنا إتساعاً وتصرفاً بل هو لأمر أعلى وفهم من الغرض أغنى، وذلك أن الحمد معنى دون العبادة، ألا تراك قد تحمد نظيرك ولا تعبده لأن غاية الطاعة والتقرب بها هو النهاية والغاية فلما كان كذلك استعمل معنى لفظ [الحمد] لتوسطه مع الغيبة فقال: (الحمد لله) ولم يقل (لك)، ولما صار إلى الطاعة التي هي أقصى أمد العبادة قال: (إياك نعبد) فخاطب بالعبادة إصرافاً بها وتقريباً منه - عز اسمه - بالإنتهاء إلى محدوده منها ... فأنظر إلى هذه اللغة الكريمة وشرفها وتلاقي هذه الأغراض اللطيفة وتعطفها الأقدام تكاد تطوؤها، والأفهام مع ثقوبها صافحة عنها، شرح الله لإعظام أوامره صدورنا)⁵.

قال الشاطبي⁶ :

وخاطب عما يعملون كما شفا

* (تقولون) من قوله تعالى: (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى)⁷.

¹ كتاب السبعة ص 160

² النشر 2 / 408 = الكشف عن وجوه القراءات 1 / 448

³ سورة الفاتحة 4

⁴ سورة الفاتحة 2

⁵ المحتسب 2 / 145 = الخصائص 2 / 260

⁶ الشاطبية 1 / 335

⁷ سورة البقرة الآية (140)

- (يقولون) بالياء قراءة كل من نافع، وابن كثير، وأبو عمرو على أنه إخبار عن اليهود، والنصارى وهم غُيِّبَ وجرى الكلام على لفظ الغيبة وعلى الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وأمر الالتفات - كما ذكرنا - شائع عند العرب فمن ذلك قول الأعشى وقد رجع من الغيبة إلى الخطاب¹:

عنده الحزم والتقى وأسى الصر

ع وحمل لمضلع الأتقال

ثم قال راجعاً إلى الخطاب:

وفاءً إذا أجزت فما غر

ت حبالاً وصلتها بحبال

وعكس هذا أن العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة كما قال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَٰ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ...)².

- (تقولون) بناء الخطاب قراءة الباقيين ومنهم إمامنا ابن عامر لمناسبة قوله تعالى قبله: (قل أتحاجوننا) وبعده: (قل ءأنتم أعلم أم الله) فأجرى الكلام على نسق واحد في المخاطبة³.

(والقول) عبارة عن اللفظ المركب المفيد فيكون مرادفاً للكلام وقيل هو عبارة عن اللفظ الدال على المعنى فهو أعم من الكلام⁴.

¹ ديوان الأعشى ص 9
² سورة يونس الآية (22)
³ النشر 2 / 240
⁴ أوضح المسالك 1 / 12

* (يرى) من قوله تعالى: (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) ¹.

- (ثرى) قراءة ابن عامر²، ونافع بتاء الخطاب المخاطب السامع و النبي ρ (والذين) مفعول به حجتها أن (لو) كُف جوابها.
- (يرى) قراءة الباقي بياء الغيبة (والذين) فاعل³.
قال الشاطبي⁴ :

وفي أم يقولون الخطاب كما علا

* (يرون) من قوله تعالى: (إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً...) في الآية السابقة.
- (يرون) بضم الياء بالبناء للمفعول إنفرد به ابن عامر و(واو الجماعة) نائب فاعل تقول: أريته كذا وكذا أي أظهرته له⁵.
- (يرون) بفتح الياء والبناء على الفاعل قراء البقية و(واو الجماعة) فاعل⁶ أي يرى الكفار.
قال الشاطبي⁷ :

وأي خطاب بعد عم ولو يرى

وفي إذ يرون الياء بالضم

كلا

* (يُبَيِّنُهَا) من قوله تعالى: (...وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)⁸.
قال ابن مجاهد⁹ كلهم قرأ يبينهم بالياء وروى عن عاصم (تُبَيِّنُهَا) بالنون....، قال ابن مجاهد وهو غلط: معنى قول ابن مجاهد أنه لاختلاف في إسناد هذه القراءة بالياء.

¹ سورة البقرة الآية (165)

² كتاب السبعة ص 173

³ النشر 2 / 423

⁴ الشاطبية 1 / 334

⁵ حجة القراءات ص 119

⁶ النشر 2 / 423

⁷ الشاطبية 1 / 337

⁸ سورة البقرة الآية (230)

⁹ كتاب السبعة ص 183

* (ونكفر) من قوله تعالى: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)¹.

- (ونكفر) بنون العظمة قراءة² نافع، والكسائي، وحمزة لأن الفعل معطوف على محل (فهو خير لكم) .

- (نكفر) بالرفع قراءة ابن كثير، وأبو عمرو على أنها جملة مستأنفة، والواو لعطف جملة على أخرى.

- (ويكفر) بالياء ورفع الراء قراءة إمامنا ابن عامر، وعاصم عن حفص والفاعل ضمير يعود على الله تعالى المتقدم ذكره في قوله تعالى: [وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه]³.

وهي جملة مستأنفة والواو لعطف جملة على أخرى⁴.

جاء في أساس البلاغة للزمخشري: (كفر الشيء) بتخفيف الفاء، (وكفر) بتشديد الفاء: (غطاه).

يقال: (كفر السحاب السماء، وكفر الليل بظلامه، وكفر الفلاح الحب ومنه قيل للمزارع الكفار)⁵.

ويقال: (كفر الله عنك خطاياك).

كما يقال: (أكفره، وكفره) (نسبة إلى الكفر)⁶ أ. هـ. وقد ورد ذكر الكفر والكافرين في القرآن كثيراً من ذلك قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)⁷، وأيضاً قوله جل اسمه: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ...)⁸.

¹ سورة البقرة الآية (271)

² كتاب السبعة ص 191

³ سورة البقرة الآية (270)

⁴ النشر 2 / 444 = الكشف عن وجوه القراءات 1 / 316

⁵ أساس البلاغة 2 / 213

⁶ أساس البلاغة 2 / 214

⁷ البقرة 6

⁸ المائدة 73

قال الشاطبي¹ :

ويا ونكفر عن كرام وجزمه أتى شافيا والغير بالرفع وكلا

هذه هي شواهد الإسناد في سورة البقرة لحروف إمامنا ابن عامر التي قيدها مسبع السبعة كما قيدها في سائر القرآن، وتابعه في ذلك صاحب كتاب إعراب القرآن²، وابن زنجلة³، وابن خالويه⁴، وابن جني⁵، والداني⁶، وابن الجزري⁷ وغيرهم من أئمة القراءات وأساتذتها⁸

¹ الشاطبية 1 / 375

² معاني القرآن للفراء 2 / 124، 146، 209، 252

³ حجة القراءات ص 116، 119، 160، 193

⁴ الحجة في القراءات ص 65 = مختصر في شواذ القرآن ص 42، 68

⁵ المحتسب 2 / 259 (يذكرها مهملة دون تحديد لصاحبها)

⁶ التيسير ص 72 وما بعدها

⁷ النشر 2 / 271، 223

⁸ كالدماطي، ومكي القيسي، وابن الأنباري، والسجستاني

المبحث السادس

الإعراب والتراكيب

كان ابن عامر في هذا الإتجاه يقرأ بعض الكلمات بالرفع أو النصب أو الجر، وهو كما ذكرنا سابقاً. يوافق إخوانه القراء حيناً ويجانبهم حيناً آخر. وشواهد الإعراب والتراكيب في سورة البقرة وافرة مستفيضة فمن ذلك:

* (كلمات) من قوله تعالى: (فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ¹ قرأ² ابن كثير بنصب (ميم) (آدم) ورفع (تاء) (كلمات) علي إسناد الفعل إلي (كلمات) أو إبقائه علي فكانه قال (فجاءت آدم كلمات) ولم يؤنث الفعل لكون الفاعل مؤنث غير حقيقي .

وقرأ الباقر: برفع (ميم) (آدم) ونصب تاء (كلمات) بالكسرة وذلك علي إسناد الفعل إلي (آدم) وإبقائه علي (كلمات) أي أخذ آدم كلمات من ربه بالقول ودعا بها وهي قوله تعالى: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)³.

قال ابن جرير الطبري⁴ في تأويل الكلمات أختلف أهل التأويل في أعيان الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، فقال بعضهم عن ابن عباس قال: (قال آدم) أي رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى قال: أي رب ألم تنفخ في من روحك؟ قال بلى . قال: أي رب ألم تسكني جنتك؟ قال بلى . قال: أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى , قال رأيت إن تبت وأصلحت أراجعي إلى الجنة؟ قال: نعم . قال: وهو قوله تعالى: (فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ...) .

ثم يقرر الطبري تخريجا جيدا في معني هذه الآية ويقول⁵: (وهذا الخبر الذي أخبر الله عن آدم من قبله الذي لقيه إياه فقال له تائباً إليه من خطيئته تعريفاً منه - جل ذكره - جميع المخاطبين بكتابه بكيفية التوبة إليه من الذنوب ...) .

¹ سورة البقرة الآية (37)

² كتاب السبعة ص 153

³ النشر 2 / 398

⁴ تفسير الطبري 1 / 243

⁵ تفسير الطبري 1 / 245

* (ولكن) في قوله تعالى: (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)¹.
- (ولكن الشياطين) بالتخفيف قرأ² بها إمامنا موافقا لحمزة والكسائي والكسر من أجل التخلص من إنتقاء الساكنين ، ورفع الإسم الذي بعدها وذلك على (ولكن) مخففة لأعمل لها، وهي حرف إبتداء.

ونقل عن يونس بن حبيب³ (ت 182هـ) والأخفش⁴ الأوسط (ت 215هـ) جواز إعمال (ولكن) إذا خففت والصحيح المنع⁵.
- (لكن) مثقلة قرأ بها الباقرن بالتشديد والنصب بعدها ذلك علي إعمالها عمل (إن) فتنصب الإسم وترفع الخبر⁶.
قال الشاطبي⁷ :

ولكن ° خفيف وارفع البر عم في— هما موصي ثقله صح شلشلا

* (فيكون) من قوله تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)⁸.

- (فيكون) قرأ⁹ بها ابن عامر نصبا في كل القرآن في ستة مواضع ووجه النصب على إضمار (إن) بعد الفاء الواقعة بعد حصر (إنما) إختياراً نحو قوله تعالى: (وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)¹⁰. في قراءة من نصب¹¹.

وهنا يجب أن ننبه على خطأ يقع فيه بعضهم: أن (كن) فعل أمر يصح بأن معناه الخبر.

¹ سورة البقرة الآية (102)

² كتاب السبعة ص 167

³ معجم المؤلفين 13 / 347

⁴ معجم المؤلفين 4 / 231

⁵ مغني اللبيب ص 385

⁶ النشر 2 / 413 = البحر المحيط 1 / 327

⁷ الشاطبية 341/1

⁸ سورة البقرة الآية (117)

⁹ كتاب السبعة ص 168

¹⁰ سورة البقرة الآية (117)

¹¹ شرح الأشموني على الألفية 3 / 229 = النشر 2 / 415

إن الضمير في (كن فيكون) يرجع إلى الشيء فإذا إتفق الفاعلان يفقد الكلام معناه وتسقط فائدته نحو: (قم فنقوم) وإذا اختلف الفاعلان جاز نحو: (أخرج فأحسن إليك) أي أن تخرج أحسنت إليك¹.

- (فيكون) وجه آخر في القراءة وهو الرفع قرأ به الباقر في المواضع الستة وذلك على الإستئناف والتقدير (فهو يكون)².
قال الشاطبي³:

وكن فيكون النصب في الرفع كفلا

* (ولاتسأل) من قوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ)⁴.

- (ولاتسأل) إنفرد⁵ به نافع مفتوحة التاء، مجزومة اللام وذلك على النهي وظاهره أنه نهى حقيقي، نهى النبي أن يسأل عن أحوال الكفار.

قيل يحتمل أن لا يكون نهياً حقيقياً بل جاء ذلك على سبيل تعظيم ما وقع فيه أهل الكفر من العذاب كما تقول: كيف حال فلان؟ إذا كان قد وقع في بلية، فيقال لك: (لاتسأل عنه) ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجرى على لسانه ما ذلك الشخص فيه لفظاً عنه فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره أو أنت يامستخبر لاتقدر على سماع خبره لا يحاشه السامع واضجاره، فلا تسأل فيكون التعظيم للمجيب والمجاب معا ولا يراد بذلك حقيقة النهي.

¹ حاشية الصبان على الأشموني 3 / 229

² النشر 2 / 415

³ الشاطبية 329/1 س

⁴ سورة البقرة الآية (119)

⁵ كتاب السبعة ص 169

(ولأُتسألُ) بضم التاء ورفع اللام قرأ به الباقيون وذلك على الإستئناف والمعنى على ذلك : أنك لا تُسأل عن الكفار ما لهم لم يؤمنوا ، لأن ذلك ليس إليك ، إن عليك إلا البلاغ وشبيه ذلك قوله تعالى : (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...)¹، وأيضاً قوله جل اسمه (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ...)² وفي ذلك تسليية وتخفيف ما كان يجده من عنادهم فكأنه قيل: لست مسؤولاً عنهم، فلا يحزنك كفرهم وفي ذلك دليل على أن أحد لا يسأل عن ذنب أحد، ومن ذلك قول تعالى : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)³.

جاء في التفسير⁴ عن محمد بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليت شعري ما فعل أبوي) فنزلت الآية (وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ)⁵ . وأما أصحاب الجحيم فالجحيم هي النار بعينها إذا شبت وقودها ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

إذا شبت جهنم ثم زارت
وأعرض عن قوابسها الجحيم
زارت مخففة من زارت أي صوتها فهو زئير.

السؤال : لإستدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة وإستدعاء مال، و ما يؤدي إلى المال، فإستدعاء المعرفة :جوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتابة، والإشارة. وإستدعاء المال جوابه على اليد واللسان خليفة لها أما بوعده أو رد والسؤال اذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني، تارة بنفسه نحو قوله تعالى : (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)⁶.

¹ سورة البقرة 272
² سورة القصص 56
³ النشر 2 / 416
⁴ تفسير الطبري 247
⁵ سورة البقرة 119
⁶ سورة العنكبوت الآية (29)

وتارة بالحرف: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) وإذا كان السؤال لإستدعاء مال فإنه يتعدى بنفسه نحو قوله تعالى: (وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)¹.

قال (ابن بري ت 82هـ)²: (سألته الشيء) بمعنى استعطيته أياه، وسألته عن الشيء استخبرته³ (ا.هـ).
قال الشاطبي⁴ :

وتسأل ضم التاء والام حركوا برفع خلودا وهم من بعد نفي

لا

- (تطوع) من قوله تعالى: (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)⁵.
- (يطوع) قراءة حمزة والكسائي بالياء ، والجزم على أنه فعل مضارع مجزوم عن الشرطية وأصله (يطوع) فأدغمت التاء في الطاء لقرب مخرجها وهو طرف اللسان مع أصل الثنايا⁶ كما أنهما يتفقان في الشدة والإصمات⁷.
- _ (تطوع) قراءة الباقيين بالتاء الفوقية وتخفيف الطاء وفتح العين. وهو فعل ماضي في محل جزم (بمن) على أنها شرطية وأصله (لمن) على أنها موصول.
- الطوع : الإنقياد وبيضاده الكره , وقد جاء في قوله تعالى: [ائتيا طوعاً أو كرهاً]⁸.
- (التطوع) في الأصل تكلف الطاعة وهو في التعارف والتبرع بما لا يلزم كالتنقل قال تعالى : [فمن تطوع خيراً فهو خير له]⁹.

- (فدية طعام مسكين) من قوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيفُونَهِ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ)¹⁰

¹ سورة الممتحنة الآية (10)

² معجم المؤلفين ص 637

³ تاج العروس 7 / 365

⁴ الشاطبية 333/1

⁵ سورة البقرة الآية (184)

⁶ الرائد في تجويد القرآن ص 41

⁷ الرائد في تجويد القرآن ص 48

⁸ سورة فصلت الآية (11)

⁹ المفردات في تغريب القرآن مادة (طوع) ص 310

¹⁰ سورة البقرة الآية (184)

- (فدية*) منونة و (طعام مسكين) موحدة قراءة كل من ابن كثير وعاصم وابو عمرو وحزمة والكسائي¹.

- (فدية طعام مساكين) (فدية) مضاف و (مساكين) جمع قراءة كل من ابن عامر ونافع والذي منع (فدية) من التثوين أنها اسم ممنوع من الصرف.

وصاحب حجة القراءات يبرز جماليات هذه القراءة² (و حجة من أضاف (الفدية) إلى (الطعام) أن الفدية غير الطعام وأن الطعام إنما هو المُفدى به (الصوم) لا (الفدية) هي مصدر من القائل: (فدية صوم هذا اليوم بطعام مسكين، أفديه فدية) فإذا كان ذلك كذلك ، فالصواب في القراءة إضافة الفدية إلى الطعام. وحجة من قرأ: (مساكين): قوله قبلها : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ثم قال (أيام معدودات) قال :إنما عرف عباده حكم من أفطر الأيام التي كتب عليهم صومها بقوله : (أيام معدودات) فإذا كان ذلك كذلك فالواجب أن تكون القراءة في (المساكين) على الجمع لا على التوحيد وتأويل الآية : (وعلى الذين يطيقونه فدية أيام يفطر فيها إطعام مساكين) ثم تحذف (أيام) وتقيم (الطعام) مكانها.

قال الحسن : فالمساكين عن الشهر كله والأيام .

قال الشاطبي³:

وفدية نون وارفع الخفض بعد في طعام لدى غصن دنا وتذللا

* (حتى يقول) من قوله تعالى : (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)⁴.

- (حتى يقول) قرأ⁵ بالرفع نافع وحده وقد كان الكسائي يقرأها دهرأ رفعا ثم رجع إلى النصب، ووجه هذه القراءة على أنه ماضي أو حال بإعتبار الحال الماضية التي كان عليها الرسول فلم تعمل فيه (حتى) قال ابن مالك:

وتلو حتى حالا أو مؤولا به أرفعن . أ. هـ.

¹ كتاب السبعة ص 176

² حجة القراءات ص 125

³ الشاطبية 1/ 341

⁴ سورة البقرة الآية (214)

⁵ كتاب السبعة ص 181

وقال ابن هشام :وأما رفع الفعل بعد حتى فله ثلاثة شروط:

الأول :كونه سبباً عما قبلها ولهذا أمتنع الرفع في نحو (سرت حتى طلوع الشمس) لأن السير لا يكون مسبباً لطلوعها.

والثاني :أن يكون زمن الفعل الحال لا الإستقبال على العكس شرط النصب، إلا أن الحال تارة تكون تحقيقاً وتارة تكون تقديرًا. فالأول كقولك: سرت حتى أدخلها برفع اللام إذا قلت ذلك وأنت في حالة الدخول. والثاني: كالمثال المذكور إذا كان السير والدخول قد مضيا ولكنك أردت حكاية الحال وعلى هذا جاء الرفع في قوله تعالى : (حتى يقول الرسول) لأن الزلزال والقول قد مضيا .

الثالث :أن يكون ما قبلها تاماً ولهذا أمتنع الرفع في نحو (كان سيري حتى أدخلها) إذا حملت على النقصان دون التمام¹.

- (حتى يقول) بالنصب قراءة الباقيين والتقدير إلى أن يقول الرسل، فهو غاية والفعل هنا مستقبل حكيت به حالهم².

قال ابن هشام : ولـ(حتى)التي ينصب بها الفعل معنيان : فتارة تكون بمعنى (كي) وتارة تكون بمعنى (أتى) وذلك إذا كان ما قبلها غاية لما بعدها ، نحو قوله تعالى :
(قالوا لن نُبْرِحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)³.

ثم قال :والنصب في هذه المواضع, وما أشبهها بأن مضمرة بعد حتى حتما لا بـ (حتى) نفسها, خلافا للكوفيين لأنها قد عملت في الأسماء الجر كقوله تعالى:(سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ)⁴ فلو عملت في الأفعال النصب لزم أن يكون لها عامل واحد يعمل تارة في الأسماء وتارة في الأفعال وهذا لانظير له في العربية⁵ أ. هـ

* (العفو) من قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)⁶ .

¹ شرح قطر الندى ص 68

² النشر 2 / 429

³ سورة طه الآية (91)

⁴ سورة القدر الآية (5)

⁵ شرح قطر الندى ص 68 = النشر 2 / 429

⁶ سورة البقرة الآية (219)

- (العفو) برفع الواو قراءة أبو عمرو وحده¹ على أن (ما) استفهامية، و(ذا) موصولة، فوقع جوابها منصوباً بفعل مقدر أي: انفقوا العفو².

المعنى: تضمن هذا الجزء من الآية سؤالاً مضمونه: ما الذي ينفقونه؟ فأجابهم الله بقوله: (العفو) أي انفقوا العفو وهو ما فضل عن حاجة الإنسان وحاجة من يعولهم. ومن ذلك قوله تعالى (خَذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)³.

اعلم أن (ذا) تستعمل موصولة، وتكون مثل (ما) في أنها تستعمل بلفظ واحد: للمذكر والمؤنث، مفرداً كان، أو مثنىً، أو مجموعاً وشرط استعمالها موصولة أمران:
الأول: أن تكون مسبوقه (بما) و(من) نحو: (من ذا جاءك، وماذا فعلت).
والثاني: إذا لم تلغ بمعنى: إذا لم تجعل (ما)⁴ مع (ذا) أو (من) مع (ذا) كلمة واحدة الإستفهام. وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله:

ومثل ماذا بعد ما استفهام أو من إذا لم تلغ في الكلام.

وقال الشاطبي⁵:

قل العفو للبصري رفعا وبعده لأعنتكم بالخلف أحمد سهلا

* (ولاتضار) من قوله تعالى: (لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ

مِثْلُ ذَلِكَ ...)⁶.

- (لاتضار) قراءة⁷ كل من ابن كثير، وأبي عمرو برفع الراء مشددة على أنه فعل مضارع من (ضار) مرفوع لتجرده من الناصب والجازم و (لا) نافية ومعناها النهي للمشاكلة من (ضار).

- (تضار) قرأ به الباقر بال نصب على أنه فعل مضارع من (ضار) و (لا) ناهية والفعل مجزوم بها ثم تحركت الراء الأخيرة تخلصاً من التقاء الساكنين أن يكون للحرف الأول ، وكانت فتحة لختها¹.

¹ كتاب السبعة ص 82

² النشر 2 / 429

³ الأعراف 199

⁴ شرح ابع عقيل على ألفية ابن مالك 1 / 152

⁵ الشاطبية 1 / 345

⁶ سورة البقرة الآية (233)

⁷ كتاب السبعة ص 183

جاء في التفسير² (لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ) قال : (ذلك إذا طلقها فليس له أن يضارها فينتزع الولد منها إذا رضيت منه بمثل ما يرضى به غيرها ، وليس لها أن تضاره فتكلفه ما لا يطيق إذا كان إنسانا مسكينا فتقذف إليه ولده) .
قال الشاطبي³ :

وَضَمُّ يَخَافَا فَازٍ وَالْكَلِّ ادْغَمُوا تَضَارَّرَ وَضَمُّ الرَّاءِ حَقٌّ وَذُو جَلَا

* (وصية) من قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)⁴

- (وصية لأزواجهم) قال ابن مجاهد⁵ : (قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ، والكسائي رفعا على أنها خبر مبتدأ محذوف أي : أمرهم وصية ، أو مبتدأ والخبر محذوف والتقدير : تلزمهم وصية) .

- (وصية لأزواجهم) قرأ حفص عن عاصم ، ابن عامر ، وأبو عمرو ، وحمزة نصبا على أنه مفعول مطلق أي : يوصون وصية⁶ .

جاء في تفسير الوصية عن قتادة قال : (كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها كان لها السكنى والنفقة ما لم تخرج ثم نسخ ذلك في بعد في سورة النساء)⁷ .
قال الشاطبي⁸ :

وصية ارفع صفو حرميه رضا

تقدم في شواهد الإشتقاق أن ابن عامر قرأ (فيضعفه) مشددة منصوبة وقرأ بعض القراء مرفوعة ، وكما تقدم في شواهد الإسناد : (ويكفر عنكم) بالياء والرفع وقرأها غيره بالنون والجزم وفي هذا دليل أن الشواهد تختلط بين أكثر من وجه نحو الرسم بالإشتقاق ،

¹ النشر 2 / 431

² تفسير الطبري 2 / 498

³ الشاطبية 1 / 345

⁴ البقرة 332

⁵ كتاب السبعة ص 184

⁶ النشر 2 / 433

⁷ تفسير الطبري 2 / 578

⁸ الشاطبية 1 / 347

والإعراب بالإسناد إلى غير ذلك مما نلاحظ في قراءة إمامنا ابن عامر ولهذا دواعي سنقف عندها - بإذن الله - في نهاية هذا المبحث .

* (لا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) من قوله تعالى : (.... لا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ...)¹.

قرأ² ابن كثير وابو عمرو (لا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) بنصب بغير تنوين على النفي والتبرئة و (لا) هنا نافية للجنس وقرأ الباقون بالرفع والتنوين .

يقول صاحب حجة القراءات³ : (واعلم ان [لا] إذا وقعت على نكرة جعلت هي والإسم الذي بعدها كإسم واحد، وبني ذلك على الفتح، أما إذا كررت جاز الرفع والفتح، وإذا لم تكرر فالوجه فيه الفتح. قال الله عز وجل : (لا ريب فيه)⁴ ، من رفع جعله جواباً لقول القائل هل من بيع فيه ؟ هل من خله ؟). فجوابه : (لا بيع فيه ولا خُلَّةٌ) لأن [من] لما كانت عاملة جعلت [لا] عاملة، ولما كانت جواب [هل] لم تعملها إذ كانت [هل] غير عاملة.

من آيات الشفاعة التي وردت في القرآن الكريم قوله تعالى : (اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)⁵. وقوله تعالى أيضا : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)⁶ .

* (تجارة، حاضرة) من قوله تعالى: (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوهَا بَيْنَكُمْ...)⁷.

- (تجارة حاضرة) قراءة⁸ عاصم بنصب التاء فيهما، على أن [تجارة] خبر [تكون] وحاضرة صفة [تجارة] وإسم [تكون] مضمرة والتقدير: إلا أن تكون المعاملة، أو المبايعة تجارة حاضرة.

¹ البقرة 254

² كتاب السبعة ص 194

³ حجة القراءات ص 141 - 142

⁴ سورة البقرة الآية 2

⁶ البقرة 128

⁶ البقرة 254

⁷ سورة البقرة الآية (232)

⁸ كتاب السبعة ص 194

- (تجارةٌ، حاضرةٌ) قراءة البقية برفع التاء فيهما على أن (تكون) تامة تكتفي
بمرفوعها، قال ابن مالك:
و (تجارة) نائب فاعل وحاضرة صفة لها والتقدير : إلا أن توجد تجارة حاضرة¹.
قال الشاطبي² :

تجارة انصب وفي النسا ثوى وحاضرة معها هنا عاصم تلا
والجدير بالذكر هنا أن ابن مجاهد في هذه الرواية السابقة قد شك في أن يكون ابن
عامر قد روي عنه الرفع لأن المشهور من أهل الشام النصب . أقول - والله أعلم - أن
الرواية صحيحة وليس مبررا ما قال ابن مجاهد أن النصب هو الغالب، فقراءة ابن عامر
متباينة الأحرف يصدق فيها هذا أو ذاك بحسب الرواية .
قال الشاطبي³ :

ولا بيع نونه ولا خلة ولا شفاعاة وارفعن ذا أسوة

تلا

* (فيغفر ، ويعذب) من قوله تعالى : (فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ⁴) .

- (فيغفرُ ، ويعذبُ) قرأ⁵ ابن عامر وعاصم برفع الراء والباء فيهما وذلك على
الإستئناف والتقدير : فهو يغفرُ لمن يشاء ويعذبُ من يشاء .

- (يغفرُ ، ويعذبُ) قرأ⁶ الباقر بجزمهما، ذلك عطفًا على قوله تعالى : [يحاسبكم]
الواقع جوابًا للشرط .

بإاءات الإضافة في سورة البقرة :

إختلف القراء¹ في تحريك يهء الإضافة إذا إنكسر ما قبلها مثل : (إنني
أعلم)² و (عهدي الظالمين)³ و (ربي الذي)⁴ . يقول ابن مجاهد : (

¹ النشر 2 / 446

² الشاطبية 1 / 247

³ الشاطبية 1 / 247

⁴ سورة البقرة الآية (284)

⁵ كتاب السبعة ص 195

⁶ النشر 2 / 447 = حجة القراءات ص 152

اختلفوا في تحريك ياء الإضافة الكسور ما قبلها في أحد عشر موضعاً من هذه السورة (يقصد سورة البقرة .

قرأ نافع وأبو عمرو (إني أعلم ما لا تعلمون) و (إني أعلم) و (عهدي الظالمين) و (فإنه مني إلا)⁵ و (ربي الذي) بتحريك الياء وتابعهما ابن كثير إلا في قوله (فإنه مني إلا) فإنه أسكن الياء .

وانفرد ابن كثير في قوله تعالى: (فاذكروني أذكركم)⁶ . وانفرد نافع في رواية ورش بفتح (وليؤمنوا بي لعلمهم)⁷ وقرأ عاصم في رواية لأبي بكر وابن عامر والكسائي : (عهدي الظالمين) و (ربي الذي) ولم يحرك حفص عن عاصم في روايته⁸ (عهدي الظالمين) وانفرد نافع بالفتح في قوله (بيتي للطائفين)⁸ ولم يحرك حمزة من هذه الياءات شيئاً .

الياءات الزوائد : هي ياءات إضافة أيضاً إلا أنها تحذف رسماً⁹ . وقد حذفت من الرسم لكسر ما قبلها وهي هنا ست ياءات , قوله تعالى (فارهبون)¹⁰ و (فاتقون)¹¹ و (ولاتكفرون)¹² و (الداع) و (إذا دعان)¹³ و (واتقون)¹⁴ . اختلف¹⁵ في ثلاث منهن (الداع) و (ودعان) و (واتقون) فقرأ عاصم وابن كثير وحمزة والكسائي وابن عامر بغير ياء في الوصل والوقف . وقرأ أبو عمرو هذه الثلاثة الأحرف بالياء في الوصل وبغير ياء في الوقف . واختلف

¹ كتاب السبعة 196
² سورة البقرة 30
³ سورة البقرة 124
⁴ سورة البقرة 258
⁵ سورة البقرة 249
⁶ سورة البقرة 152
⁷ سورة البقرة 186
⁸ سورة البقرة 125
⁹ النشر 2 / 237
¹⁰ سورة البقر 40
¹¹ سور البقرة 41
¹² سورة البقرة 152
¹³ سورة البقرة 186
¹⁴ سورة البقرة 197
¹⁵ كتاب السبعة 196, 197

عن نافع و روي أنه كان يثبت الياء في قوله (الداع) إذا وصل ويحذفها في الوقف وكذلك (دعان) ، وفي رواية أخرى يحذفها في (دعان) وفي رواية ثالثة أنه - أي نافع - قرأ بغير ياء في وصل ووقف .¹

ثانياً: توجيه سورة آل عمران

أولاً: شواهد الرسم:

* (فنادته) من قوله تعالى: (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ)¹.

- (فناداه) قراءة حمزة والكسائي² بألف بعد الدال على تذكير الفعل.
- (فنادته) قراءة الباقرين بقاء التانيث وذلك على تانيث الفعل وجاز التذكير والتانيث لأن الفاعل جمع تكسير.
- حجة من قرأ³ (فناداه) أن الذي ناداه جبريل والتقدير (فناداه الملك) فأخرج الاسم الواحد بلفظ الجمع.
- وحجة القراءة الثانية أجماع الجميع على قوله (تحمله الملائكة)⁴ فأنت فعل المائة هنا بلا خلاف، فالواحد أن يرد ما هم مختلفون فيه إلى ما هم عليه مجتمعون.
- قال الشاطبي⁵:

وذكر فنادته وأضجعه شاهداً ومن بعد أن الله يكسر في كلا

* (وسارعوا) من قوله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)⁶.

- (سارعوا) قرأ نافع وابن عامر بحذف الواو وذلك على الإستتفاف وهي مرسومة بحذف الواو في مصاحف أهل الشام والمدينة.
- (وسارعوا) قرأ الباقرين باثبات الواو وذلك عطفاً على قوله تعالى: (وأطيعوا الله والرسول) وهذه القراءة.

¹ ال عمران 39

² كتاب السبعة ص 205

³ حجة القراءات ص 162

⁴ البقرة 248

⁵ الشاطبية 372/2

⁶ ال عمران 133

قال الشاطبي¹:

قل سارعوا لا واو قبل كما انجلى

* (والزبر والكتاب) من قوله تعالى: (إِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ)².

- (وبالزبر وبالكتاب) بزيادة الباء فيهما قراءة الإمام ابن عامر وذلك موافقة لرسم المصحف الشامي.

- (والزبر والكتاب) بحذف الياء فيهما قرأ الباقرن وذلك لرسم بقية المصاحف.
قال الشاطبي³:

وبالزبر الشامي كذا رسمهم وبالكتاب هشام وأكشف الرسم مجملا

قال الراغب⁴: في مادة (زبر) (زبرت الكتاب) كتبه كتابة عظيمة وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له: زبور، وخص الزبور الكتاب المنزل على داود عليه السلام قال تعالى: (وآتينا داود زبوراً)⁵.

ثانياً: شواهد الاشتقاق:

* (ستغلبون وتحشرون) من قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبَسَّ الْمَهَادُ)⁶.

- (سيغلبون ويحشرون) بالياء قراءة حمزة والكسائي أي (بلغهم بأنهم سيغلبون) وحجتهم إجماع الجميع على قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ)⁷ ويقوي (الياء) أن أهل التفسير تأولوا في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هزم المشركين يوم بدر قالت اليهود بعضهم لبعض: (هذا هو النبي الذي لا ترد له راية) فصدقوا فقال بعضهم: لا تعجلوا بتصديقه حتى تكون وقعة أخرى، فلما أصاب المسلمين في أحد ما أصابهم، شكوا في أمره وخالفوه فأنزل الله: قل يا محمد: (سيغلبون ويحشرون).

¹ الشاطبية 380/2

² سورة آل عمران 184

³ الشاطبية 385/2

⁴ المفردات في غريب القرآن ص 211

⁵ النساء 163

⁶ آل عمران 12

⁷ الأنفال 38

- (ستغلبون وتحشرون) قرأ الباقر بالتاء فيهما على المخاطبة: أي قل لهم في خطابك: ستغلبون وتحشرون وحجتهم قوله: (قل للذين كفروا) فقد أمره أن يخاطبهم، والمخاطبة لهم أن يقول في وجوههم (ستغلبون وتحشرون) بالتاء.

قال الشاطبي¹:

وفي تغلبون الغيب مع تحشرون رضا وترون الغيب خص وخللا

* (رضوان) من قوله تعالى: (وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ)².

- (رُضوان) بضم الراء قراءة أبوبكر عن عاصم في كل القرآن الكريم إلا قوله تعالى: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ)³ فقد قرأه بالضم والكسر جمعاً بين اللغتين.

- (رضوان) بكسر الراء قراءة⁴ الباقيين في جميع القرآن الكريم وهما مصدران بمعنى واحد مثل: (الشكران) و (الحرمان) وحجة من قرأ بالضم أنه فرق بين الاسم والمصدر وذلك أن اسم خازن الجنة (رضوان) كذا جاء في الحديث. و(رضوان) مصدر (رضى، يرضى، رضواناً) ففرق بين الإسم والمصدر⁵.

قال الشاطبي⁶:

ورضوان اضمم غير ثاني العقود كـ سره صُح إن الدين بالفتح ر فلا

* (تقاة) من قوله تعالى: (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَدِّثْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)⁷.

- (تقية) قرأ يعقوب بفتح التاء وتشديد الياء المفتوحة على وزن (فعل) لأن أصل الكلمة (وقية) فقلبت الياء ألفاً لتحركها وإنتحاج ما قبلها فصارت (وقاة) ثم أبدلوا من الواو تاءً كما قالوا (ثحاة) وأصله (وُحاه)⁸ أمال الكسائي القاف وأمال حمزة إشمأماً من غير مبالغة وقرأ الباقر بالفتح ولم يميلوا⁹.

¹ الشاطبية 368/2

² آل عمران 15

³ المائدة 16

⁴ كتاب السبعة ص202

⁵ حجة القراءات ص157

⁶ الشاطبية 369/2

⁷ آل عمران 28

⁸ حجة القراءات ص160

⁹ كتاب السبعة ص 204

* (وَضَعْتُ) من قوله تعالى: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ اِنِّي وَضَعْتُهَا اُنْثَىٰ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْاُنْثَىٰ وَاِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَاِنِّي اَعِيْذُهَا بِكَ وَدُرِّيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ)¹.

- (وَضَعْتُ) قرأ² ابن عامر وعاصم بإسكان العين وضم التاء وهو من كلام أم مريم عليها السلام والتاء فاعل. وحجتها أنها قالت: (ربي إني وضعتها أنثى) كانت كأنها أعلم بما وضعت) كما قال الله عز وجل: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا)³، وقال عز وجل: (قُلْ اَتَّعَلَّمُونَ اللّٰهَ بِدِيْنِكُمْ...)⁴. وهي مع ذلك لم يكن فيها تقديم وتأخير.

- (وَضَعْتُ) قرأ الباقون بسكون التاء وحجتهم أنها: (قالت رب إني وضعتها أنثى) وكيف تقول بعدها (والله أعلم بما وضعت) أنا. والمعنى الواضح أنها (قالت رب إني وضعتها أنثى) فقال الله عز وجل: (والله أعلم بما وضعت) هي منها. وفي القراءة تقديم وتأخير معناها: (قالت رب إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى) فقال جل وعز: (والله أعلم بما وضعت).

* (كَفَلَهَا) من قوله تعالى: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)⁵.

- (كَفَلَهَا) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتشديد على أنه فعل ماضي من (كفل) مضعف الفاء وفاعل (كفل) ضمير يعود على (ربها) والهاء مفعول ثاني مقدم و (زكريا) مقصوراً مفعول أول مؤخر.

- (كَفَلَهَا) قرأ الباقون بالتخفيف (زكرياء) بالمد والرفع.

قال أبو عبيد: (كفلها أي ضمنها) ومعناه في هذا: ضمن القيام بأمرها. وحجتهم⁶ قوله: (إذ يُلْقُونَ أَفْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ)⁷ ولم يقل (يكفل) فالكفالة مسندة إليهم . وأما (زكرياء)

¹ آل عمران 36

² كتاب السبعة ص204

³ الحجرات 16

⁴ الحجرات نفس الآية

⁵ آل عمران 37

⁶ حجة القراءات ص161

⁷ آل عمران 44

و (زكريا) فلغتان بالمد والقصر (والقصر أشبه بما جاء في القرآن وفي غيره من أسماء الأنبياء كموسى

،وعيسى ،واشيعا ، ويهودا وليس منها شيء ممدود) هكذا قال صاحب حجة القراءات¹.

قال الشاطبي²:

وكفلها الكوفي ثقيلًا وسكنوا وضعت وضموا ساكنا صح كفلا

• (يبشرك) من قوله تعالى : (أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ)³.

- (يبشرك) قرأ⁴ حمزة بالتخفيف في جميع القرآن يقال بشرت الرجل أبشره إذا فرحته .

- (يبشرك) قرأ الباقر بالتشديد أي يخبرك ، يقال (بشرته أبشره) أي أخبرته بما أظهر في بشرة وجهه من السرور. وحجتهم قوله : (فبشرناه باسحق)⁵ وقوله (وبشر المحسنين)⁶ ثم نقل صاحب حجة القراءات قول الكسائي وأبو عبيدة وهو أنهما لغتان .

• (ويعلمه) من قوله تعالى: (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّورَ وَالْإِنجِيلَ)⁷

- (ويعلمه) قرأ نافع وعاصم بياء الغيبة لمناسبة قوله تعالى قبل : (إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّ لَهُ لَهْفٌ مِّنْ قَبْلِهِ) ⁸ .

- (ونعلمه) قرأ⁹ الباقر بنون العظمة على أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه بأنه: سيعلم (عيسى بن مريم) عليهما السلام الكتاب ،والحكمة وذلك على الإلتفات من الغيبة إلى التكلم.

¹ حجة القراءات ص 161 ، 162

² الشاطبية 371/2

³ آل عمران 39

⁴ كتاب السبعة ص 205

⁵ سورة هود 71

⁶ سورة الحج 37

⁷ آل عمران 48

⁸ آل عمران 47

⁹ كتاب السبعة 206

قال الشاطبي¹:

نعلمه بالياء نص أئمة وبالكسر أني أخلق أعتاد أفصلا

• (الطير، طيرا) من قوله تعالى : (أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ...)².

– (الطائر، طائر) قرأ³ نافع بألف وفي موضع المائدة أيضا وذلك على الأفراد وحجته⁴:
أن الله أخبر أنه كان يخلق واحدا ثم واحدا .

– (الطير ، طيرا) من غير ألف قرأ الباقرن على أنه المراد به الجنس أي جنس الطير .
قال الشاطبي⁵:

وفي طائر طيرا بها وعقود— ها خصوصا وياء نوفيهم علا .

* (تعلمون) من قوله تعالى : (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلَّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)⁶.

– (تعلمون) قرأ⁷ ابن كثير ونافع وعمر و بإسكان العين أي : يعلمكم الكتاب .

– (تعلمون) قرأ الباقرن من بالتشديد من قولك : (علمت زيدا أعلمه تعليما).

وحجتهم⁸ أن (تعلمون) أبلغ في المدح من (تعلمون) لأن المعلم لا يكون معلما حتى يكون عالما بما يعلمه الناس قبل تعليمه.

قال الشاطبي⁹:

وضم وحرك تعلمون الكتاب مع مشددة من بعد بالكسر ذللا .

• (يبغون ، يرجعون) من قوله تعالى : (أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)¹⁰.

¹ الشاطبية 2 / 374

² آل عمران 49

³ كتاب السبعة ص 206

⁴ حجة القراءات ص 164

⁵ الشاطبية 2 / 374

⁶ آل عمران 79

⁷ كتاب السبعة ص 213

⁸ حجة القراءات ص 167

⁹ الشاطبية 2 / 377

¹⁰ آل عمران 82

- (بيغون) قرأ¹ أبو عمرو وحده بياء الغيبة لمناسبة قوله تعالى: (فأولئك هم الفاسقون) فجرى الكلام على أوله.
قال الشاطبي²:

وكسر لما فيه وبالغيب ترجعو ن عادة وفي تبغون حاكيه عولا

• (حج) من قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)³.

- (حج) بالكسر قبراءة حمزة والكسائي لغة أهل نجد.

- (حج) بالفتح قرأ الباقون لغة أهل العالية والحجاز وأسد وهما مصدران والفتح هو المصدر القياسي بقول ابن مجاهد⁴: (الحج بالفتح المصدر من حج والحج بالكسر (الاسم) النهوض بشعائر الحج).

وفي التهذيب وتقول: أتيت فلاناً إذا أتيت مرة بعد مرة فليل: حج البيت لأنهم يأتونه كل سنة، قال المخبل السعدي:

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا

أي يقصدونه ويزورونه، وقال ابن السكيت يقول: - أي الشاعر - يكثر الإختلاف إليه، هذا هو الأصل، ثم تعورف استعماله في (قصد مكة للنسك)⁵. أ.هـ -

وأنشده أبو زيد لجرير يهجو الأخطل ويذكر ما صنعه الحجاج بن حكيم السلمي من قتل بني تغلب قوم (الأخطل) بالبشر أو هو ماء لبني تميم:

قدكان في جيف بدجلة حُرقت أو في الذين على الرحوب شغول

وكان عافية النسور عليهم حُج بأسفل ذي المجاز نزول

¹ كتب السبعة ص214

² الشاطبية 378 / 2

³ آل عمران 97

⁴ كتاب السبعة 214 - النشر في القراءات العشر 11/3

⁵ تاج العروس 16/2

يقول: لما كثرت قتلى بني تغلب جافت الأرض، فحرقوا ليزول ننتهم، والرحوب ماء بني تغلب والمشهور رواية البيت (حج) بالكسرو هو اسم الحاج وعافية النسور هي الغاشية التي تغشى لحومهم. والواضح أن التفريق بين لغة الفتح والكسر اجتهاد لا طائل وراءه والراجح أنهما لغتان لمعنى واحد.

قال الشاطبي¹:

وبالكسر حج البيت عن شاهد وغيب ب ما تفعلوا لن تكفروه لهم تلا
* (يفعلوا، يكفروه) من قوله تعالى: (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالْمُنْتَقِينَ)².

- (يفعلوا، يكفروه) بياء الغيبة قراءة³ حفص، وحمزة والكسائي وذلك لمناسبة قوله تعالى
قبل: (لَيْسُوا سَوَاءً مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ *
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)⁴ فذلك كله لفظ غيبة متصل بعبه ببعض.

- (تفعلوا، تكفروه) قرأ الباقر بقاء الخطاب بينهما لمناسبة الخطاب المتقدم في قوله
تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس)⁵.

قال الراغب⁶ في مادة (فعل): (الفعل التأثير من جهة مؤثر وهو عام لما كان بإجادة أو
بغير إجادة، ولما كان بعلم أو غير علمولما كان من الإ: نسان، والحيوان،
والجمادات. والعمل مثله). أ.هـ

وقد مضى بنا تفسير المعنى اللغوي كلمة (الكفر) في توجيهنا لسورة البقرة.

قال الشاطبي⁷:

ماتفعلوا لن تكفروه لهم تلا

¹ الشاطبية 379/2

² آل عمران 115

³ كتاب السبعة 215

⁴ سورة آل عمران 113-114

⁵ آل عمران 124

⁶ المفردات في غريب القرآن ص382

⁷ الشاطبية 379/2

* (منزّلين) من قوله تعالى: (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ)¹.

- (منزّلين) بفتح النون وتشديد الزاي قراءة² الإمام ابن عامر وحده وحجته³ قوله تعالى: (لنزلنا عليهم من السماء ملكاً)⁴ وهما لغتان، نزل أنزل مثل كرم وأكرم. كذلك في العنكبوت قوله تعالى: (إِنَّا مُنزلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)⁵.

- (منزّلين) قراءة الباقون بالتخفيف على أنه اسم مفعول من (أنزل) الثلاثي المزيد بالهمزة.
قال الشاطبي⁶:

وفيما هنا قل منزلين ومنزلو ن لليحصبي في العنكبوت مثقلا

* (مسومين) من قوله تعالى: (بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ)⁷.

- (مسومين) مضعف العين قراءة⁸ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم على أنه اسم فاعل من (سوم) مضعف العين.

يقول صاحب حجة القراءات⁹ مسومين: أي معلمين من (السومة) وهي العلامة. وحجتهم ما جاء في التفسير قال مجاهد: (كانوا سوما نواصي خيولهم بالصوف الأبيض) فهم على هذا التفسير (مسومون) لأنهم فاعلون).

(ووردت الأخبار بأن الملائكة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمين بعمائم صفر فأضافوا الإعتما إليهم، ولم يقل (معتمين) فيكونوا مفعولين وتكون القراءة بفتح

¹ آل عمران 124

² كتاب السبعة ص 215

³ حجة القراءات ص 172

⁴ الإسراء 95

⁵ سورة العنكبوت ، 43

⁶ الشاطبية 379/2

⁷ آل عمران 125

⁸ كتاب السبعة ص 216

⁹ حجة القراءات ص 173

الواو وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإصحابه يوم بدر (تسوّموا فإن الملائكة قد تسوّمت)¹.

- (مسوّمين) بفتح الواو قرأ الباقر اسم مفعول من (سوّم) مضعف العين أيضاً. وحجتهم² (مُنزّلين) لما كان صفة مثل معنى الأول ففتحوا الواو وجعلوهم (مفعولين) كما لو كانوا (مُنزّلين) فكأنهم أنزلوا مسوّمين).
قال الشاطبي³:

وحق نصير كسر واو مسوّمين ن

* (مِتْم) من قوله تعالى: (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)⁴.

- (مِتْم) بكسر الميم حيثما وقع قراءة⁵ نافع وحمزة والكسائي وقرأ حفص بكسر الميم في ذل كله إلا في موضعي آل عمرا فقد قرأهما بفتح الميم.
قال الشاطبي⁶:

ومِتْم ومتنا في ضم كسرهما صفا نفر وردا وخص هنا انجلى

- (مِتْم) بضم الميم قرأ الباقر.

والقراءتان فاشيتان القراءة الأولى (الكسر) من (مات يمات) نحو (خاف يخاف) الأجوف من باب (فهم يفهم) والأصل (موت) بفتح فاء الكلمة وكسر عينها، فإذا أسند إلى ضمير الرفع المتحرك قبل (مِت) بكسر فاء الكلمة، وذلك لأننا نقلنا حركة العين إلى الفاء ثم حذفنا الواو للساكنين.

والثانية وهي بضم الميم من (مات يموت) نحو (قام يقوم) الأجوف من باب (نصر ينصر) وأصل (مات) (موت) تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً وأصل (يَمُوتُ) (يَمُوتُ) بضم عين الكلمة فنقلت ضمتها إلى الساكن قبلها.

* (يَعْل) من قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ...) ¹

¹ السابق

² السابق

³ الشاطبية 380/2

⁴ آل عمران 157

⁵ كتاب السبعة ص 218

⁶ الشاطبية 382/2

- (يُغَلِّ) بالفتح قرأ² ابن كثير وأبو عمرو وعاصم على البناء للفاعل والفاعل ضمير مستتر يعود على (نبي) والمعنى ينبغي أن لا يقع من (نبي) غلول أي خيانة البتة.
- (يُفَكُّ) بضم الياء وفتح الغين قرأ الباقر على البناء للمفعول ونائب الفاعل ضمير يعود على نبي أيضاً والفعل على هذه القراءة من (أغل) الرباعي والمعنى: ما كان لنبي أن ينسب إليه غلول البتة مثل أكذبه نسبه للكذب.
قال الشاطبي³:

وبالغيب عنه تجمعون وضّم في يغل وفتح الضم أو شاع كقلا
* (ماقتلوا) من قوله تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا)⁴.
- (ماقتلوا) بالتشديد قراءة⁵ ابن عامر وحده على أنه مضارع من (قتل) مضعف العين والواو نائب فاعل وذلك على إرادة التكثير في القتل.
- (ماقتلوا) قرأ الباقر الباقر بتخفيف التاء على أنه مضارع مبني للمجهول من (قتل) الثلاثي من باب (نصر، ينصر) والواو نائب فاعل روى عن ابن عامر: (ما كان من القتل في سبيل الله فهو بالتشديد).
قال الشاطبي⁶:

بما قتلوا التشديد لبي وبعده وفي الحج الشامي والآخر كملا
* (ولا تحسبن) من قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)⁷.
- (ولا يحسبن) بياء الغيبة قراءة⁸ هشام بخلف عنه، وفاعله (الذين قتلوا في سبيل الله وهم شهداء وهم الشهداء (وأمواتاً) مفعول ثاني والمفعول الأول محذوف والتقدير لا يحسبن الشهداء أنفسهم أمواتاً.

¹ آل عمران 161
² كتاب السبعة ص 218
³ الشاطبية 382/2
⁴ آل عمران 169
⁵ كتاب السبعة 219
⁶ الشاطبية 383/2
⁷ آل عمران 169
⁸ النشر في القراءات العشر 17/3

- (ولا تحسبن) فباء الخطاب الوجه الثاني لهشام و(الذين قتلوا في سبيل الله) مفعول أول و(أمواتاً) مفعول ثاني والتقدير، ولا تحسبن يا (محمد) أو ياء مخاطب الشهداء أمواتاً. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة (تحسبن) بفتح السين والباقون بكسرها وهما لغتان. قال الشاطبي¹:

وخاطب حرفاً يحسبن فخذ وقل بما يعلمون الغيب حق وذنو ملا
* قوله تعالى: (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا
لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ)². والموضوع الآخر في التوبة³.
- (قتلوا وقاتلوا) قرأ⁴ حمزة والكسائي بتقديم (قتلوا) و (يقتلون) في موضع التوبة، الفعل
المبني للمجهول فيهما وتوجيه ذلك أن الواو لا تفيد ترتيباً، أو على التوزيع لأن منهم من
قُتِلَ ومنهم من قاتل قال صاحب حجة القراءات⁵ محتجاً لهذه القراءة: فإن سأل سائل
فقال: (كيف؟ فإذا قُتِلوا كيف يقاتلون؟) فالجواب أن العرب تقول: (قتل بنو تميم بنو أسد)
إذا قُتِلَ بعضهم فكأنه يُقْتَلُ بعضهم فيُقتل الباقيون الباقيين).
قال الشاطبي⁶:

هنا قاتلوا آخر شفاء وبعد في براءة يقتلون شمرة دلا

- (قتل بنو تميم بنو أسد)، إذا قتل بعضهم، فكأنه يقتل بعضهم فيقتل الباقيون الباقيين.
- (قاتلوا وقاتلوا) قرأ الباقيون على تقديم اسم الفاعل وذلك لأن القتال عادة يكون قبل القتل.
ثالثاً: إسناد الأفعال:

* (فيوفيههم) من قوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)⁷.
- (فيوفيههم) بياء الغيبة على الالتفات قراءة حفص.

¹ الشاطبية 384/2

² آل عمران 195

³ سورة التوبة 111

⁴ كتب السبعة ص 221

⁵ حجة القراءات 187

⁶ الشاطبية 387/2

⁷ آل عمران 57

- (فنوفيهم) قرأ الباقر¹ بنون العظمة الدالة على التكلم في أخبار الله تعالى عن نفسه وحثهم² قوله: (فإعذبهم عذاباً شديداً) ولم يقل: فيعذبهم. وحجة أخرى ذكرها ابن الجزري³ والنون في الأخبار كالهزمة في الإخبار المناسبة قوله تعالى بعد: (ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ)⁴.

قال الراغب: في مادة (وفي)، (الوافي): الذي بلغ التمام يقال درهم واف، وكيل واف وأوفيت الكيل، والوزن. إلى أن قال: (وتوفيه الشيء، بذله وافيأ، واستيفاؤه: تناوله وافيأ قال تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ) أ.هـ.⁵

* (يغشى) من قوله تعالى: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ)⁶.

- (تعشى) قراءة⁷ حمزة والكسائي بتاء التأنيث على أن الفاعل ضمير يعود على (أمنه) وهي مؤنثة فأنث الفعل تبعاً لتأنيث الفاعل.

- (يغشى) بياء التذكير قرأ الباقر على أن الفاعل ضمير يعود على نعاساً، وهو مذكر فذكر الفعل تبعاً للفاعل.

يقال أن الغشى تعطل القوى المحركة، والإرادة الحساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد، أو برد، أو جوع مفرط⁸ وقد ورد هذا اللفظ في القرآن كثيراً من ذلك قوله تعالى: (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)⁹.

* (سكنتب، وقتلهم، ونقول) من قوله تعالى: (سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)¹⁰.

- (سيكتب) بياء مضمومة قراءة¹¹ حمزة مبنياً للمفعول و(ما) اسم موصول، أو مصدرية نائب فاعل والتقدير: سيكتب الذي قالوه أو سيكتب قولهم.

¹ كتاب السبعة ص206

² حجة القراءات 164

³ النشر 8/3 - الكشف عن وجوه القراءات 345/1

⁴ آل عمران 58

⁵ المفردات في غريب القرآن ص528

⁶ آل عمران 154

⁷ كتاب السبعة 217

⁸ تاج العروس 266/10

⁹ محمد 20

¹⁰ آل عمران 181

¹¹ كتاب السبعة 221

قال الشاطبي¹:

سنكتب ياء مع فتح ضمه وفقل ارفعوا مع يا نقول فكيماً

- (سنكتب) بنون العظمة قرأ الباقون مبنياً للفاعل والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (نحن) وهو يعود على الله سبحانه وتعالى وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.
 - (قتلهم) بيرفع اللام قرأ الباقون عطفاً على (ما).
 - (ويقول) قرأ حمزة² بياء الغيبة وذلك لمناسبة قوله تعالى قبل: (لقد سمع الله...).
 - (نقول) قرأ الباقون بنون العظمة وهو معطوف على (سنكتب).
- قال الراغب³ في مادة (كتب) والكتبُ ضم أديم إلى أديم بالخياطة يقال: كتبت السقاء، وكتبت البقلة، جمعت بين شفرئها بحلقة، وفي التعارف، ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، والأصل في الكتابة النظم بالخط...).

¹ الشاطبية 285/2

² السابق

³ المفردات في غريب القرآن ص 423

وقال¹ أيضاً في مادة (قتل) (أصل القتل) إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال: (قتل) وإذا اعتبر بفوت الحياة، يقال: (موت) قال تعالى: (أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ)².

وقال أيضاً في مادة (قول) : (القول، والقييل) واحد، قال تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً)³.

وهذا الشاهد يلتبس بالإعراب والتركيب كما هو بيّن.

* (لتبينه، ولا يكتُمونه) من قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيئْتَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ)⁴.

– (ليبينه ولا يكتُمونه) بياء الغيبة فيهما وذلك على إسناد الفعلين إلى (الذين أوتوا الكتاب) قرأ⁵ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم.

– (لتبينه، ولا تكتُمونه) قرأ الباقر بتاء الخطاب فيهما وذلك على الكناية، أي قلنا لهم: (لتبينه للناس ولا تكتُمونه). والميثاق الذي أخذ عليهم هو بيان أمر النبي صلى الله عليه وسلم⁶.

قال الراغب⁷ في مادة (بان) : (والبيان الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق، مختص بالإنسان ويسمى ما بين بياناً نحو قوله تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)⁸. جاء في التفسير⁹ قال قتادة: في معنى الآية: هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم شيئاً فليعلمه وإياكم وكتمان العلم، فإن كتمان العلم مهلكه).

وهذا هو المعنى العام وإن كان قد قصد به اليهود خاصة فقد أمرهم الله تعالى وأخذ عليهم عهداً أن لا يكتُموا أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم يعلمون من كتبهم أنه يخرج

¹ المفردات في غريب القرآن ص 293

² آل عمران 44

³ النساء 122

⁴ آل عمران 187

⁵ كتاب السبعة ص 221

⁶ تفسير الطبري 203/1

⁷ المفردات في غريب القرآن ص 68-69

⁸ سورة النحل 24

⁹ تفسير الطبري 203/3

في أمة العرب ويكون خاتم الأنبياء والمرسلين ، والذي يدفعهم إلى الكتمان حسدهم
وحقدهم .

رابعاً: شواهد الإعراب والتركيب

* (أن الله) من قوله تعالى : (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ
يُبَشِّرُكَ بِبَيْتٍ مُّصَدَّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ)¹.

- (إن الله) قرأ² ابن عامر وحمزة وذلك على إجراء النداء مجرى القول والمعنى قالت
له : (إن الله يبشرك) ويجوز أن نقول : إنما كسره على الإستئناف³.

- (أن الله) قرأ الباقر بالفتح على النداء والمعنى : (نادته بأن الله يبشرك)⁴ أذكر هنا
اتفاق القراء على قراءة حرف (إن الله) من قوله تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ
اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ
الْمُقَرَّبِينَ)⁵. وذلك لأنها مسبوقة بصريح القول وهو : (إذ قالت الملائكة) وأيضا ان
القراءة مبنية على التوقيف.

* (أني) من قوله تعالى : (أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ)⁶.

- (إنني) بالكسر قراءة نافع وذلك على الإستئناف أو على إضمار القول أي قائلا: إنني
أخلق لكم.

- (أني) بالفتح قرأ الباقر على أنها بدل من قوله تعالى : (أني قد جئتكم بأية من ربكم)⁷.

* (ولا يأمركم) من قوله تعالى : (وَلَا يَأْمُرْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا...)⁸.

- (ولا يأمركم) برفع الراء قراءة⁹ ابو عمرو اختلاسا.

- (ولا يأمركم) بنصب الراء قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة على أنه معطوف على قوله
تعالى قبل : (ثم يقول للناس) .

¹ آل عمران 39

² كتاب السبعة 205

³ حجة القراءات 163

⁴ السابق

⁵ آل عمران 45 .

⁶ آل عمران 49

⁷ كتاب النشر 8/3

⁸ آل عمران 80

⁹ كتاب السبعة 213

والتقدير: ليس للنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولا أن يأمركم: (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً...)¹
قال الشاطبي²:

ورفع لا يأمركمو روحه سما

* (لما) من قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ..)³.
- (لما) بكسر اللام قرأ حمزة على أنها لام الجر متعلقة بأخذ (ما) مصدرية. والتقدير:
اذكر يا محمد وقت أن أخذ الله الميثاق على أنبياء السابقين لائتائه إياهم الكتاب والحكمة.

¹ النشر 9/3

² الشاطبية 378/2

³ آل عمران 81

- (لما) قرأ الباقون بالفتح على أنها (لام الابتداء) و (ما) موصولة والعائد محذوف والتقدير: اذكر يا محمد وقت أن أخذ الله من الأنبياء السابقين للذي أتاهم من كتاب وحكمة¹.

يقسم أهل النحو 2 اللام المفردة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العاملة للجر: وتكون مكسورة مع الإسم الظاهر نحو (لزيد) ومع ياء المتكلم نحو (لي) وتكون مفتوحة مع كل مضموم نحو (لنا، لهم).

القسم الثاني: اللام العاملة للجرم: وهي اللام الموضوعية للطلب وحركتها الكسر وسليم تفتحها وإساكنها بعد الفاء والواو أكثر من تحريكها نحو قوله تعالى: (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي)³ كما تدخل على خبر إن مكسورة الهمزة مشددة النون نحو قوله تعالى: (إن ربي لسميع الدعاء)⁴.

القسم الثالث : اللام الزائدة وهي اللام الداخلة في خبر المبتدأ نحو قوله:

أم الحليس لعجوز شَهْرُبة

وفي خبر لكن نحو قول الشاعر:

يلومونني في حب ليلي عواذلي لكنني من حبها لعميد

قال الشاطبي⁵:

وكسر لما فيه وبالغيب ترجعو ن عادة وفي تبغون حاكيه عولا

* (ولا يضرركم) من قوله تعالى: (إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا..)⁶.

- (لا يضرركم) بكسر الضاد قرأ⁷ نافع وابن كثير وابوعمر و على أنها جواب شرط مجزوم وحثهم⁸ قوله: (قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ)⁹ وكانت في الأصل: (لا يضرركم) مثل

¹ كتاب السبعة 213

² النشر 10/3

³ البقرة 186

⁴ الحج 29

⁵ الشاطبية 378/2

⁶ آل عمران 120

⁷ كتاب السبعة 2/5

⁸ حجة القراءات ص 171

⁹ الشعراء 50

(يضر بكم) فاستنقلت الكسرة على الياء فنقلت كسرة الياء إلى الضاد فصارت (لايضيركم) ودخل الجزم على الراء فالتقى ساكنان الياء والراء فطرحت الياء فصارت: (لايضيركم).
- (لايضركم) قرأ الباقر بضم الضاد وتشديد الراء وضمها من (ضرّ يضرّ) وحبثهم أن (ضرّ) في القرآن أكثر من (ضار) واستعمال العرب (ضرّ) أكثر من ضار من ذلك (..).
ضراً ولانفعاً¹ و (نفعاً ولا ضراً)² وهو كثير في القرآن فلا يصرف عن شيء كثير في القرآن³.

قال الراغب في مادة (ضرّ): (الضر سوء الحال) أما في نفسه لقلّة العلم، والفضل والعفة، وأما في حالة ظاهرة من قلة والإضرار حمل الإنسان على ما يضره⁴.
قال الشاطبي⁵:

يضركم بكسر الضاد مع جزم راءه سما يضم الغير والراء ثقلا

* (كله) من قول تعالى: (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ...)⁶.

- (كله) برفع اللام قرأ ابو عمرو وحده وذلك على أنها مبتدأ ومتعلق (لله) خبر والجملة من المبتدأ وخبره في محل رفع خبر (إن).

- (كله) بالنصب قرأ الباقر على أنها تأكيد لكلمة (الأمر) التي هي اسم (إن) ومتعلق (لله) خبر (إن)⁷.

قال الشاطبي⁸: وقل كُله الله بالرفع حامداً بما تعلمون الغيب شايح دُخلا

* ياءات الإضافة:

جميع ما في سورة آل عمران من ياءات الإضافة ثمان وعشرون ياءاً اختلفوا⁹ منهن في ستة مواضع: قوله: (أسلمت وجهي لله)¹⁰ و (إني أعيدنها بك)¹¹ و (أجعل لي آية)¹² و (إني

¹ المائدة 79

² الأعراف 187

³ حجة القراءات ص 171 - النشر 12/3

⁴ المفردات في غريب القرآن ص 293 - 294

⁵ الشاطبية 379/2

⁶ آل عمران 154

⁷ النشر 14/3 - الكشف 361/1

⁸ الشاطبية 281/2

⁹ كتاب السبعة ص 222

¹⁰ آل عمران 20

¹¹ آل عمران 36

¹² آل عمران 36

أخلق¹ و (من أنصاري إلى الله)² و (فتقبل مني إنك)³، ففتحهن نافع كلهن وفتح ابن كثير واحدة (أني أخلق) وفتح ابو عمرو ثلاثة منهن (فتقبل مني إنك) و (أجعل لي آية) و (أني أخلق) وفتح ابن عامر وعاصم واحدة منهن (وجهي لله). وأسكنهن جميعهن عاصم في رواية أبي بكر، وحمزة والكسائي.

ولم يختلفوا في فتح الياء من بلغني: (بلغني الكبير)⁴.

حذفت من سورة آل عمران ثلاث ياءات إضافة (زوائد) لكسر ما قبلها قوله: (ومن اتبعن)، (وأطيعون) (وخافون إن كنتم) ولم يختلفوا في (وأطيعون) إنها مكسورة من غير ياء في الوصل والوقف.

واختلفوا (والكلام لابن مجاهد) في قوله: (ومن اتبعن) فوصلها بياء ووقف بغير ياء أبو عمرو واختلف عن نافع أنه وصل بياء ووقف بغير ياء وروى عنه أنه لا يمد الياء من (اتبعن). ووصل ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: (اتبعن) بغير ياء ووقفوا بغير ياء.

¹ آل عمران 41

² آل عمران 52

³ آل عمران 35

⁴ آل عمران 40

الفصل الخامس الإعتراض والإنتصار لقراءة الإمام ابن عامر

وفيه مبحثان:

- الإعتراض على قراءة ابن عامر

- الإنتصار لقراءة ابن عامر

المبحث الأول

الإعترض على قراءة ابن عامر

نقد الطبري والزمخشري لقراءة ابن عامر:

نماذج لنقد الطبري لما انفرد به ابن عامر:

* (مأنسَخ) قرأ ابن عامر بضم النون مكان (ننسخ) بالفتح.

قال ابن جرير الطبري قاطعاً برداءة قراءته وفسادها¹: (قرأ بعضهم (مأنسَخ من آية) بضم النون وكسر السين، بمعنى (مأنسَخك) نحن يا محمد من آية، من أنسختك فأنسختك وذلك خطأً من القراءة عندنا لخروجه عما جاءت الحجة من القراء بالنقل المستفيض).

* (هو مولاها) قرأ ابن عامر مكان (موليها).

قال ابن جرير الطبري مخطئاً قراءته²: روى عن ابن عباس وغيره أنهم قرأوا (هو مولاها) بمعنى أنه موجة نحوها. ويكون الكلام حينئذٍ غير مسمى فاعله، لو سمي فاعله لكان الكلام: ولكل ذي ملة وجهة الله عليه إياها بمعنى موجهة إليها..... والصواب عندنا من القراءة في ذلك ولكل وجهة هو موليها بمعنى ولكل وجهة وقبله ذلك الكلّ مؤلّ وجهه نحوها، لإجماع الحجة من القراء على قراءة ذلك كذلك وتصويبها إياها وشدوذ من خالف ذلك إلى غيره. وما جاء به النقل مستفيضاً فحجة، وما انفرد به من كان جائز عليه السهو والخطأ فغير جائز الإعتراض به على الحجة.

* (فيضعفه) قرأ ابن عامر من غير ألف مشددة مكان (فيضاعفه).

قال ابن جرير³: (إختلف القراء في قوله تعالى (فيضاعفه) بالألف ورفعه، بمعنى الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له نسق يُضاعف على قوله (يقرض) وقرأ آخرون بذلك المعنى (فيضعفه) غير أنهم قرأوه بتشديد العين وإسقاط الألف وقرأه آخرون (فيضاعفه له) بإثبات الألف في يُضاعف ونصبه بمعنى الإستفهام فكأنهم تأولوا الكلام: من المقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له، جواباً للإستفهام، وجعلوا من ذا الذي يقرض

¹ تفسير الطبري 1 / 380

² تفسير الطبري 2 / 18

³ تفسير الطبري 2 / 370

الله قرصاً حسناً اسماً، لأن (الذي) وصلته بمنزلة عمرو وزيد، فكانهم وجهوا تأويل الكلام إلى قول القائل: (من أخوك فتكرمه) لأن الأفصح في جواب الإستفهام بالفاء إذا لم يكن قبله ما يعطف به عليه من فعلٍ مستقبلٍ: نصبه.

وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ: (فيضاعفه له) بإثبات الألف ورفع (يضاعف) لأن في قوله (من ذا الذي يقرض الله قرصاً حسناً فيضاعفه له) معنى الجزاء والجزاء إذا دخل في جوابه الفاء لم يُجز إلا رفعاً وكذلك كان الرفع في (فيضاعفه) أولى بالصواب عندنا من النصب بينما، اخترنا الألف في (يضاعف) من حذفها وتشديد العين لأن لك أفصح اللغتين، وأكثرها على السنة العرب.

هذا هو طعن الإمام الطبري على قراءة ابن عامر فيما انفرد به وسيأتي الرد عليه وهو لا يقف عند رد قراءة ابن عامر فحسب بل هو يرد قراءات أخرى وافق فيها آخرين نأخذ نموذجين لهذا الضرب.

* (فدية طعام مساكين) قراءة ابن عامر ونافع مكان (فدية طعام مسكين) قال ابن جرير الطبري مؤخراً قراءتهما¹ بجمع المساكين بعد أن صوب قراءتهما بإضافة الفدية إلى الطعام: (وأما الطعام فإنه مضاف إلى المسكين والقراء في قراءة ذلك مختلفون فقراءه بعضهم: بتوحيد مسكين، بمعنى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين واحد لكل يوم أفطره، كما حدثني محمد ابن يزيد الرفاعي قال: حدثنا حسين الجعفي عن أبي عمرو أنه قرأ (فدية) رفع منون (طعام) رفع بغير تنوين، (مسكين) وقال: عن كل يوم مسكين وعلى ذلك معظم قراء أهل العراق. وقرأه آخرون بجمع المساكين بمعنى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين عن الشهر إذا أفطر الشهر كله....

وأعجب القراءتين إلى في ذلك قراءة من قرأ: (طعام مسكين) على الواحد بمعنى وعلى الذين يطيقونه عن كل يوم أفطروه فدية طعام مسكين، لأن في إبانة حُكم المفطر يوماً واحداً وصولاً إلى معرفة حُكم المفطر جميع الشهر، وليس في إبانة حُكم المفطر جميع الشهر وصولاً إلى إبانة حُكم المفطر يوماً واحداً أو أياماً هي أقل من أيام الشهر

وأن كل واحد يُترجم عن الجميع وأن الجميع لا يُترجم به عن الواحد، فلذلك إختارنا قراءة ذلك بالتوحيد).

ومن المفسرين الذين نقضوا قراءة ابن عامر أيضاً الإمام الزمخشري لذلك قوله تعالى:

* (كذلك زَيْن) برفع الزاي، (لكثير من المشركين قتل) برفع اللام، (أولادهم) بنصب الدال، (شركائهم) بياء. قال الزمخشري¹: (وأما قراءة ابن عامر (قتل أولادهم شركائهم) برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء، على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهم بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر، لكان سمجاً مردوده كما سُمج ورد:

زَجُّ القُلُوصِ أَبِي مَزَادَةَ

فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن المُعْجَز بحسن نصبه وجزالته؟ والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء² لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الإرتكاب).

والطبري أشد رفضاً لهذه القراءة بالفصل بين المتضايين قائلاً: (ففرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح.... ثم يذكر بيتاً يُنكره كما يُنكرُ به القراءة يحتج به لها وهو:

فَزَجَّتْهُ مَتَمَكْنَاً زَجَّ القُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ

¹ الكشاف 2 / 54

² مُشْكَلُ إعراب القرآن 1 / 292 = معاني القرآن للفراء 1 / 357

الإنتصار لقراءة ابن عامر

رأى أبو حيان الأندلسي في نقد أبي جرير والزمخشري لقراءة الإمام ابن عامر ،
إنتصاراً لمذهب البصريين الذين لايسوغون الفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا في
ضرورات الشعر ويرد عليهم تعصبهم بقوله : (إننا لسنا متعبدين بنحو البصرة) مرتكزاً
على أن القراءة (سنة متبعة) لا يحلُّ إلا قبولها والمصير إليها يقول أبو حيان¹: (قرأ
الجمهورُ [زَيْنَ] مبني للفاعل ونصب [قَتْلَ] مُضَافاً إلى أولادهم ورفع [شُرَكَائِهِمْ] فاعلاً
[يزين] وإعراب هذه القراءة واضح وقرأت فرقة منهم السُّلَمي، والحسن ، وأبو عبد الملك
قاضي الجُند، صاحب ابن عامر : (زَيْنَ) مبنياً للمفعول و(قَتْلُ) مرفوعاً مُضَافاً إلى
(أولادهم)، (شركائِهِمْ)، مرفوعاً على إضمار فعلٍ أي : (زينه شركائِهِمْ)، هكذا خرج
سيبويه، أو فاعلاً بالمصدر أي قتلهم أولادهم شركائِهِمْ، ...، وقرأ ابن عامر ذلك إلا أنه
نصب (شركائِهِمْ) وجر (شركائِهِمْ) فصل بين المصدر المُضاف إلى الفاعل بالفعل،
وهي مسألة مختلفٌ في جوازها ، فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم، ولا
يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح، ولا
إلتفات إلى قول ابن عطية:(وهذه قراءةٌ ضعيفة في استعمال العرب وذلك لأنه أضاف
الفعل إلى الفاعل وهو الشركاء ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول. ورؤساء
العربية لا يجيزون الفصل بالظرف في مثل هذا إلا في الشعر كقوله²:

كما خط الكتابُ بكفٍ يوماً يهوديٌّ يُقاربُ أو يزيل

فكيف بالمفعول في أفصح الكلام؟ ولكن وجهها أنها شاذ في بيت في الطرماح³:

يطفنَ بحوزي المراتع لم يُرغ بواديه من قرع القسيِّ الكنائنُ

ثم يُفند أبو حيان قول الزمخشري في قراءة ابن عامر التي إتهمه فيها أنه يقرأ برأيه
وإجتهاده قائلاً:(وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءةً
متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل

¹ البحر المحيط 2 / 229

² شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك والبيت لأبي حية النميري

³ أنظر ديوان الطرماح ص 486

بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً، قد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم).

وأبو علي الفارسي صاحب (الحُجّة في القراءات السبع) لا ينجو من الطعن في قراءة ابن عامر إذ يقول: (هذا قبيح قليل الإستعمال) في قراءة الفصل ثم يذكر شاهداً للفصل بين المصدر المضاف إلى المفعول إتباعاً لما ورد عن العرب¹:

بعثت إليه من لساني حديقة سقاها الحجي سقي الرياض السحائبُ

يقول ابن جني معلقاً على مسألة الفصل مقترحاً مخرجاً جيداً: (إذا إتفق شيءٌ من ذلك نُظِرَ في حال العربي وما جاء به، فإن كان فصيحاً، وكان ما أورده يقبل القياس، فالأولى أنه يُحسن به الظن ، لأنه يمكن أن يكون ذلك وقع عليه من لغةٍ قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها). وقال عمرو ابن العلاء: (ما إنتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير. وإماننا ابن الجزري أيضاً كأبي حيان، ينتصر لقراءة ابن عامر وغيرها من القراءات الصحيحة التي ردها النحويون، وعلماء القراءات كالطبري والزمخشري وأبي علي الفارسي وقد ركز ابن الجزري على إتفاق العلماء على أن ابن عامر أحد القراء السبعة، وثنائهم على قراءته، وإشادتهم بفصاحته ودقته وأمانته ، يقول ابن الجزري²: (كيف يسوغُ أن يتصور قراءة لا أصل لها ويُجمَعُ الناس وأهل العلم من الصدر الأول إلى آخر وقت على قبولها وتلاوتها والصلاة بها وتلقينها، مع شدة مؤاخذتهم باليسير، ولا زال أهل الشام قاطبةً على قراءة ابن عامر تلاوةً وصلاةً وتلقيناً إلى قريب الخمسمائة. ودفع ابن الجزري مرة أخرى قدح الزمخشري في قراءة ابن عامر وجرحه لها مستنداً إلى ثلاثة أسباب:

الأول: أنه لا يجوز لأحد -مهما كان علمه- أن يقرأ القرآن بالرأي والإجتهاد، لأن باب الرأي في القراءة مغلق موصل، وإنما تصحُ القراءة وتستقيم بالرواية والنقل، وبالتواتر والتسلسل، وبالموافقة لأحد المصاحف العثمانية.

¹ ديوان المتنبيء ص 333

² غاية النهاية في طبقات القراء 1 / 424

والثاني: أنه لا يجوز والطعن في القراءة متواترة، بل يجب الأخذ بها والتسليم لصاحبها وقراءة ابن عامر من القراءات السبع المرفوعة إلى رسول الله ρ وهي ثابتة في المصحف العثماني وصاحبها من العلماء الثقة الأثبات.

والثالث: أنه لو جاز الإحتجاج بالإستعمال النحوي واللغوي على قوة القراءة وضعفها وصحتها وسقمها، وقبولها ورفضها فإنه تحتم الأخذ بقراءة ابن عامر لأن صاحبها عربيّ صحيح العروبة، فصيح اللسان، صحيح اللغة، كلامه شاهدٌ يعتدُّ به، وقوله مثال يُقاس عليه، لأنه عاش في عصر الأحتجاج اللغوي) وقد ورد في الإستعمال الأدبي والقرآني الفصل بين المُضاف والمُضاف إليه بالظرف أو بالجار والمجرور أو بالمفعول يقول¹: (والحق في غير ما قال الزمخشري، ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأي والتشهي بل الصواب جواز هذا الفصل وهو الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول في الفصح الشائع الزائع اختياراً كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا القراءة عن الصحابة كعثمان وأبي الدرداء ψ وهو مع ذلك صريحٌ من صميم العرب كلامه وقوله دليل لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ويتكلم به فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن، وروى وسمع إذ كان كذلك في المصحف العثماني المُجمع على إتباعه وأنا رأيتها فيه كذلك مع أن قارئها لم يكن خاملاً، ولا غير مُتبع ولا في طرفٍ من الأطراف ليس عنده من يُنكر عليه إذا خرج عن الصواب، فقد كان في مثل دمشق التي هي إذ ذاك دار الخلافة وقبة الملك والمأتي إليها من أقطاب الأرض في زمن خليفةٍ هو أعدل الخلفاء وأفضلهم بعد الصحابة الإمام عمر ابن عبد العزيز τ وهذا الإمام القاريء (يعني ابن عامر) مقلدٌ في هذا الزمن الصالح قضاء دمشق ومشيختها وإمام جامعها الأعظم الجامع الأموي، أحد عجائب الدنيا.... وأول من نعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءات الصحيحة، وركب المحذور ابن جرير الطبري بعد الثلاثمائة وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير حتى قال السخاوي: (قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي: إياك وطقن ابن جرير على ابن عامر). والله در إمام النُحاة أبي عبد الله بن مالك حيث قال في كافيته الشافية:

وحجتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاصدٍ وناصر

وقد شدد ابن المنير في (الانتصاف) النكير على الزمخشري فقال: (أن المُنكر على ابن عامر إنما أنكر عليه ما ثبت أنه براء منه قطعاً وضرورة لأن هذه القراءة مما علم ضرورة أن النبي ﷺ قرأ بها ولولا عذر أن المُنكر ليس من أهل الشأنين، أعني علم القراءة وعلم الأصول، ولا يُعد من ذوي الفنين المذكورين لخيفَ عليه الخروج من ربة الدين وإنه على هذا العذر لفي عهدة خطيرة وزلة مُنكرة)¹.

مع كل ذلك فإذا نزلنا مع الزمخشري و من تابعه في رد هذه القراءة إلى القياس النحوي ، فإننا نرى أن القراءة ماضية مع القواعد النحوية، فلقد قال الكوفيون: يجوزون الفصل بين المتضايين في النثر والشعر إذا كان المُضاد والمُضاد إليه فاعله والفاصل بينهما مفعوله كقراءة ابن عامر التي نحن بصددنا ومنه قول القائل:

عتوا إذ أجبناهم إلى السلم رافة فسقناهم سوق البُغاث الأجادل

(فسوق) مصدر مضاف والأجادل مُضاد إليه من إضافة المصدر إلى فاعله والبُغاث مفعول وفصل به بين المُضاد والمُضاد إليه والأصل: سوق الأجادل البُغاث². والذي يجدرُ ذكره هنا أن منهج الطبري لتقويم القراءات وردها وتفضيلها بعضها على بعض هو الذي أداه إلى الطعن في قراءة ابن عامر وإنكارها ولكنه لم يسم ابن عامر باسمه بل كان كثيراً ما يشير إليه بقوله: (قرأ بعضهم) أو (قرأ آخرون) أو (قرأ بعض قراء أهل الشام) فقد كان ابن جرير الطبري³ من أشهر أهل زمانه علماً وحكماً قال البغدادي⁴: (كان أحد أئمة العلماء يُحكم بقوله ويُرجع إلى رأيه لمعرفة وفضله، وكان قد جمع العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره كان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن....) كان الطبري يعتدّ في نقد بعض القراءات بأحد أمرين الأول: إجماع أكثر القراء باتصال سندها واطراد روايتها فهو لا يفتأ يذكر في رفضه لبعض قراءة الإمام ابن عامر إنه إنما رفضه (لخروجه عما جاءت به الحجة من

¹ الانتصاف لابن المنير 2 / 53

² إعراب القرآن 3 / 240

³ ترجمة الطبري تاريخ بغداد 2 / 162

⁴ تاريخ البغدادي 2 / 163

القراءة بالنقل المتسفيض)¹ والثاني: موافقتها لقواعد العربية وأساليبها في الإشتقاق والتراكيب والإعراب ، فهو لا يني يشير في تقديمه القراءة على قراءة أنه إنما قدمها لمطابقتها (لشائع تأويل أهل التأويل)² تعينه على ذلك ذخيرة معرفية واسعة بأشعار الشعراء الجاهليين والإسلاميين³ التي يُحتج بها ويعول عليها في الحُكم على سلامة الإستعمال اللغوي وجودته وسقمه ورداءته ، أخذاً بقواعد العربية وأصولها الصحيحة التي أجمع عليها جمهور العلماء أضف إلى كل ذلك بصره بأراء النحويين واللغويين الكوفيين والبصريين⁴.

وكان ابن عامر يُخالف سائر القراء السبعة في قراءة بعض الآيات على النحو الذي وقفنا عليه، كما كان يفارق بعضهم في قراءة آيات أخرى لذلك طعن عليه ابن جرير وأخر قراءته بل أخرجه من القراء السبعة.

وابن جرير الطبري لا يلتزم بالنقل والرواية في تمحيص القراءات والرواية في تمحيص القراءات فحسب بل جنح أيضاً إلى الحجاج والإجتهد وكان له قدم في علم الجدل يدل على ذلك مناقضاته في كتبه على المعارضين لمعاني ما أتى به⁵. الأمر الذي جعله يُجانب أئمة القراءات⁶ في أخذهم القراءات السبع مأخذ الوجوب.

وربما تأثر ابن جرير الطبري بالعصبية الإقليمية والسياسية والعلمية بين أهل العراق وأهل الشام وقد كان ما بين أهل العراق وأهل الشام، متباعداً منذ وقعة صفين⁷ وأشدت المنازعة بينهم في العصر الأموي ثم تفاقمت الأزمة واستفحلت في العصر العباسي⁸ وكان كل منهم يتعصب لبلده ونفسه⁹، وكان أهل العراق ساخطين على الخلفاء الأمويين وأنصارهم من أهل الشام لإستئثارهم بالحكم من دونهم، ثم أصبح أهل الشام

¹ تفسير الطبري 1 / 380

² تفسير الطبري 6 / 42

³ معجم الأدباء 6 / 432

⁴ معجم الأدباء 6 / 438

⁵ معجم الادباء 6 / 437

⁶ كابن مجاهد، وابن الجزري، وأبو حيان الأندلسي، وابن المنير

⁷ وقعة صفين ص 56 = الماكل للمبرد 1 / 327

⁸ تاريخ الطبري 8 / 652

⁹ الخوارج والشيعنة لنهاوزن ص 148

ناقمين على الخلفاء العباسيين ومؤيديهم من أهل العراق، لأنهم أطاحوا بالخلفاء الأمويين وأدالوا منهم¹.

أما في الإتجاه العلمي فقد كان التأثير بالإتجاه السياسي واضحاً حيث كان علماء العراق يفتخرون بإتقانهم للرواية الأدبية والرواية التاريخية والعلوم الدينية ويستعلون على أهل الشام لتفوقهم وكان علماء الشام لا يستكينون لهم بل قابلوهم افتخاراً بافتخار واستعلاءً باستعلاء قادحين في علمهم مهوتين من شأنهم².

وتأثر الإمام الطبري بهذه العصبية يؤكد أنه كان يُتهم بالتشيع³ وقال الذهبي⁴: (ثقة صادق فيه تشيع يسير وموالة لا تضر) وقال ياقوت الحموي: (له كتاب (فضائل علي بن أبي طالب) تكلم في أوله بصحة الأخبار الواردة في [غدير خم] ثم تلاه بـ (الفضائل) ولم يتم).

وكان يُجامل العباسيين بعض المُجاملة فقد شرع في تأليف كتاب (فضائل العباس) وانقطع أيضاً بموته⁵.

الذي قلناه من شأن التعصب أمر محتمل لا نقطع به، وإن كان الغالب على العلماء إذا خالطوا الساسة خلطوا عليهم وأفسدوا علمهم. ومن الإنصاف أن نؤكد هنا على حقيقة راسخة في الثبات: أن الإمام الطبري صاحب اتجاه موضوعي ونقد علمي في نقده للقراءات فهو لا يؤخر قراءة ابن عامر وحدها بل يتصدى لها ولغيرها وبجانب هذا الإنصاف لا نحكم عليه بالعصمة ، ففي رده لبعض القراءات زلات لا تغتفر وربما كانت زلة عالم ربما أيقن في نفسه إعتقاده في صحتها والله تعالى أعلم.

~ تم بحمد الله ~

¹ العقد الفريد 3 / 163

² أنظر شواهد ذلك في الأغاني 11 / 25 = أمال المرتضى 2 / 19

³ معجم الأدباء 6 / 423

⁴ ميزان الاعتدال 3 / 419

⁵ معجم الأدباء 6 / 452

الخاتمة

القرآن الكريم كتاب الله تعالى أنزله على نبيه ﷺ ليخرج البشرية من الظلمات إلى النور، وقد كان النبي ﷺ يقرأ الصحابة القرآن الكريم كما أمر ويتلقونه عنه فيحفظونه كما قرأ وإذا أشكل عليهم من القرآن لجأوا إليه فيحكم بينهم ولا يجدون في حكمه غشاً هذه يقرأ بوجه وذاك يقرأ بوجه آخر وهكذا أنزل القرآن الكريم بأحرف سبعة تيسيراً للأمة وتحقيقاً للإعجاز.

اختلف الصحابة في عهد الخليفة عثمان ؓ في قراءة القرآن هذا يقرأ بقراءة يعتقد فيها أنها أفضل من قراءة غيره وهذا يقول قراءتي أحسن من قراءتك فكاد أن يفتح باب في الفتنة عظيم لولا أن الله وفق عثمان ؓ لجمع الناس في القراءة كل مصر يقرأ بقراءة إمامه يقتدي به ولا يتعداه إلى غيره.

إن الاختلاف في القراءات هو أكبر إشارة على أن هذا الاختلاف مع كثرته وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض بل كله يصدق بعضه بعضاً ويشهد لبعضه لبعض. قال تعالى: (ولو من كان عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا) فضلاً عما في ذلك من التيسير على الأمة وعظيم الأجر لمن اشتغل به.

وقد تفرغ قومٌ للقراءة وتجردوا لها حتى صاروا أئمة في القراءات يتلقاها الناس عنهم في كل مصر من الأمصار في مدن الإسلام وقد كان هؤلاء الأئمة في المدينة، وفي مكة، وفي الكوفة، وفي الشام.

في بلاد الشام أهتم الخلفاء والأمراء الأمويين بتعليم أهل الشام القرآن الكريم لأنهم يعتقدون فيه أنه الدعامة الأساسية التي تقوم عليها الثقافة العربية والإسلامية وكانوا أنفسهم حفاظاً قراءاً.

ومن مظاهر إهتمام الخلفاء بالقرآن الكريم: تشجيعهم المقريئين على تعليم القرآن ونشره وقد فرض لهم رواتب تكفيهم هموم ومشاكل الحياة ولكي يتفرقوا لهذه المهمة

العظيمة. وقربوا الحفظة إليهم وقضوا عنهم ديونهم وجعلوهم رفقاء مجالسهم وقابلوا بالجفاء من ليس الإشتغال بالقرآن همه.

ومن مظاهر الإهتمام أيضاً: أن هؤلاء الخلفاء بدأوا بتعليم أولادهم وجلبوا لهم المؤدبين الذين كان يجب عليهم أن يبدأوا بالقرآن الكريم فيحفظونه لأولادهم حفظ من أراد الكسب بهم. وبجانب المؤدبين كان هناك المعلمين الذين شاركوا أيضاً في تعليم القرآن الكريم وكانوا طائفتين: طائفة لأبناء الخاصة من الخلفاء والأمراء وغيرهم، طائفة: تعلم أبناء العامة والأيتام.

كانت المنهجية واضحة في تعليم القرآن ببلاد الشام، يقسم الطلاب إلى عشرات يجعلون لكل عشرة عريفاً يقرؤ لهم القرآن سورة سورة حتى يختمه وهم يعيدون ماسمعوا منه، ويحفظونه عنه فإذا أتقن الطالب أجزاه المعلم وأصبح عريفاً في كتابه. كان من أشهر الصحابة الشاميين معاذ ابن جبل، وبادة ابن الصامت، وأبو الدرداء، وفُضالة ابن عبيد وكان أبو الدرداء أكثرهم نشاطاً في تعليم القرآن وأقواهم أثراً في بلاد الشام.

وخلف الصحابة في قراءة القرآن ورواية حروفه خمسة طبقات من التابعين الشاميين الأمويين وطبقة من مُخضرمي الدولتين الأموية والعباسية منهم: أبو مسلم الخولاني، وأبو إدريس الخولاني، وخُلَيد ابن سعد السلماني وغيرهم كثير. كان أكثر القراء من دمشق وأقلهم من حمص وسائرهم من فلسطين، كان النشاط كبيراً في مسجد دمشق ومسجد حمص الأمر الذي ولد المنافسة بين قراء دمشق قراء حمص.

كان أكثر قراء أهل الشام يوافقون قراءة الجماعة، لكن روية عن بعض قراءهم قراءات شاذة أو مفردة أشهرها روى عن التابعين الشاميين الأمويين ومن مُخضرمي الدولتين. تتمثل في قراءاتهم الشاذة والمفردة جميعاً وجوه مختلفة منها ما يتصل بخصائص القراءة الصوتية، كالهمز، والمد، والقصر. ومنها ما يتعلق بالرسم والإشتراط وإسناد الأفعال، والإعراب والتثنية، والجمع وغيره.

لم يبلغ أحد من القراء الشاميين ما بلغه عبد الله ابن عامر من الشهرة والنباهة إذ كان أحد القراء السبعة المقدمين على سائر قراء المسلمين.

كان ابن مجاهد أول من سبغ السبعة ونظم ابن عامر فيهم واستقصى شواهد قراءاتهم إستقصاءً بالغاً وميز بعضها عن بعض تمييزاً دقيقاً. وسلم العلماء بإجتهاده ونقلوا عنه قراءاتهم وصنفوا فيها مؤلفات كثيرة كشفوا فيها عن جوهها واحتجوا لصحتها.

وفي قراءة ابن عامر نماذج تُخالف قراءة الجماعة وغيرها من القراءات العالية التي رويت عن بعض القراء السبعة، وهي تغييرها في الرسم والاشتقاق وصيغ الأسماء والمصادر وصيغ الأفراد والتثنية والجمع والتراكيب والإعراب وإسناد الأفعال.

قد ضعف ابن جرير الطبري قراءة ابن عامر وأسقطها من القراءات الصحيحة وشك في تواترها، لأنه وجد فيها خروجاً على ما أجمعت عليه الحجة ولأنه رأى فيها مفارقة لأساليب العربية الفصحية.

تصدى ابن الجزري لابن جرير الطبري ورد إتهامه لقراءة ابن عامر، ودحض

أدلته دحضاً وقد بين أن قراءة ابن عامر تتصل بالرسول ρ وأشار إلى إجماع العلماء بينها على أنها من القراءات المتواترة وذكر أن أهل الشام كانوا يقرأون بها إلى آخر القرن الخامس الهجري. ونبه على أن شواهدا توافق خط المصحف العثماني وأنها ثابتة في المصحف الشامي.

الخلاصة

هذه هي الشواهد من سورتي البقرة وآل عمران في أحرف ابن عامر كما إستقصاها الإمام الجليل الثقة ابن مجاهد، وهو لا يقف عند هاتين السورتين فحسب بل يحصيها وبدقة وحصافة في سائر القرآن الكريم كما يفعل عادة مع أي إمام من أئمة القراءات السبع ، ثم جاء بعده علماء القراءات فحدوا حدوه وترسموا طريقه في إثبات القراءات وتمحيصها.

ونحن في ختام هذا الفصل نخلص إلى نتيجة مهمة، كشفنا سترها ونحن نعالج قراءة إمامنا في هذه الوجوه والمباحث المختلفة، إن هذه الوجوه في الرسم وزيادة بعض الأحرف، أو إسقاطها، ، وفي الإشتقاق، وإسناد الأفعال، والإعراب، والتراكيب مما فصلنا في مباحث هذا الموضوع من هذا البحث ووجهنا، قد كان سببها إختلاف الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم والرسم تابع لها بل إن ذلك جوهر إختلاف القراءات، فرسم الحروف بإعجامها وإهمالها هو الذي ولد إحتمالاً، أو إحتمالان، أو ثلاثة ، فجعل هذا الإمام يقرأ بهذا الوجه المحتمل، وذلك يقرأ بذلك، كل ذلك مسنودا بالرواية والسماع من النبي ρ وثاني الأسباب تعدد المصادر التي أخذ منها القراء من التابعين الشاميين فقد تعددت وجوه قراءة الصحابة الشاميين ولعلمهم كانوا يزاجون بين الأخذ من المصاحف التي أرسلها الخليفة عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار وبين الأخذ من النسخ التي أمر عثمان بإحراقها كمصحف أبي بن كعب ومصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. وثالث الأسباب يرجع للتأثر ببعض اللهجات القبلية فقد كان بعض القراء من التابعين من أهل الشام يقرأون بعض حروف القرآن بما يماثلها من ألفاظ قبائلهم وكانوا يتأثرون بلهجاتها وطريقة أدائها للكلام .

هذا والله تعالى أعلم.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية الطبعة الثانية 1952م.
2. ابن الأثير: - الكامل في التاريخ ط دار صادر من بيروت 1979 - أسد الغابة في معرفة الصحابة نشر المكتبة الإسلامية ببيروت.
3. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط 10 دار الكتاب العربي ببيروت.
4. أحمد راتب النفاخ: كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ط مجمع اللغة العربية بدمشق.
5. الأخطل التغلبي: غياث بن غوث شعر الأخطل، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ط دار الأصمعي بحلب 1970م.
6. الأزدي: يزيد ابن محمد ابن إياس توفي 334هـ تاريخ الموصل، تحقيق الدكتور علي حبيبة ط المجلس الأعلى للشئون الإنسانية بالقاهرة 1968م.
7. الأزدي: محمد ابن عبد الله توفي 231 هـ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عامر نشر مؤسسة سجل العرب بالقاهرة 1970م.
8. ابن الأعمش: أحمد ابن أعمش توفي 314هـ كتاب الفتوح ط حيدر آباد 1960م.
9. ابن الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن ابن محمد توفي 577هـ الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محي الدين ط مطبعة حجازي بالقاهرة عام 1953م. - البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد ط القاهرة 1969م.
10. البخاري: محمد ابن إسماعيل ابن إبراهيم توفي 256هـ كتاب التاريخ الكبير ط حيدر آباد 1361هـ.

11. البغدادي: أحمد ابن علي ابن ثابت المشهور بالخطيب 463هـ — المشهور بالخطيب تاريخ بغداد ط مطبعة الخانجي بالقاهرة 1931م.
12. البغدادي: عبد القادر ابن عمر توفي عام 1093هـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط مطبعة الأميرية ببولاق.
13. البلاذري: أحمد ابن يحيى ابن جابر توفي 279هـ - أنساب الأشراف القسم الثالث العباس ابن عبد المطلب وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري ط بيروت - فتوح البلدان ط ابريل 1968م.
14. البناء: أحمد ابن محمد الدميّاطي توفي 1117هـ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، رواه وصححه وعلق عليه محمد الضباع ط عبد الحميد أحمد حنفي بمصر.
15. أبوتمام: حبيب ابن أوس الطائي توفي 231هـ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام ط دار المعارف بمصر.
16. الثعالبي أبو منصور عبد الملك ابن محمد ابن إسماعيل توفي 429هـ — ثمار القلوب في المضاف المنسوب، تحقيق محمد الفضل إبراهيم ط بدار النهضة بمصر 1865م.
17. الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب توفي 255هـ البيان والتبيين، حققه وشرحه حسن السندوي ط المطبعة الرحمانية بمصر 1923
18. ابن الجزري: أبو الخير محمد ابن محمد الدمشقي توفي 833هـ — تقريب النشر في القراءات العشر، تحقيق إبراهيم عطوة وعض ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عام 1961م.
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، حققه الشيخ علي محمد الضباع ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده عام 1950م.
- غاية النهاية في طبقات القراء ج. براجستراسر طبع مكتبة الخانجي بمصر 1932م.

- النشر في القراءات العشر تصحيح علي محمد الضباع ط دار الكتب العالمية ببيروت.

19. ابن جني: أبو الفتح توفي 392هـ

- الخصائص تحقيق علي النجار ط دار الكتب المصرية عام 1952م.
- المحتسب في وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الحلیم النجار، و عبد الفتاح إسماعيل شلبي ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة.

20. ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي توفي 597هـ

- سيرة عمر ابن عبد العزيز ط مطبعة الإمام بمصر.
- جولد تسهر مذاهب التفسير الإسلامي ترجمة عبد الحلیم النجار نشر مكتبة الخانجي بمصر عام 1955

21. ابن أبي حاتم الرازي: محمد ابن عبد الرحمن الرازي مفاتيح الغيب ط حيدر آباد 1952م.

22. ابن حجر العسقلاني: أحمد ابن علي توفي 852هـ الإصابة في تمييز الصحابة ط مطبعة السعادة بمصر 1328هـ. - تهذيب التهذيب ط دار صادر ببيروت 1968م. - لسان الميزان ط حيد آباد 1330هـ.

23. أبو حيان الأندلسي: محمد ابن يوسف ابن علي توفي 754هـ البحر المحيط ط مكتبة النصر الحديثة بالرياض.

24. ابن خالويه: حسين ابن أحمد توفي 370 هـ

- الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم ط دار الشرف ببيروت 1971م.

- المختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع عنى بنشره براجستراسر ط المطبعة الرحمانية بمصر.

25. ابن خلكان: أحمد ابن محمد أبي بكر توفي 681هـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس ط دار صادر ببيروت.
26. ابن خياط: خليفة ابن خياط ابن خليفة العصفري توفي 240هـ تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق سهيل زكار ط وزارة الثقافة بدمشق 1968م.
27. الداني: أبو عمرو عثمان ابن سعيد 444هـ التيسير في القراءات السبع ط أسطانبول 1920م.
28. الذهبي: أبو عبد الله محمد ابن احمد ابن عثمان توفي 748هـ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام نشر مكتبة القدس بالقاهرة. - تذكرة الحفاظ، ط حيدر آباد. - ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمد البيجاوي، ط عيسى البابي الحلبي وشركاؤه 1960م.
29. الزبيدي طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف بمصر.
30. الزجاج: أبو اسحق إبراهيم ابن السري ابن سهل توفي 311 هـ إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط المؤسسة المصرية العامة 1963م.
31. أبو زرعة: عبد الرحمن ابن عمرو النصري توفي 280هـ ملحق بكتاب قضاة دمشق بابن طولون، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط المجمع العلمي 1963م.
32. الزمخشري: أبو القاسم محمود ابن عمر توفي 538 هـ - أساس البلاغة ط دار ومطابع الشعب بالقاهرة. - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل طبع دار المعرفة ببيروت.
33. ابن زنجلة: أبو زرعة عبد الرحمن ابن محمد حجة القراءات تحقيق سعيد الأفغاني نشر جامعة بنغازي 1973م.

34. السجستاني: أبوبكر عبد الله ابن داؤد توفي 316هـ كتاب المصاحف حققه
أثر جفري ط المطبعة الرحمانية بمصر 1936م.
35. ابن سعد: محمد ابن سعد ابن منيع توفي 230هـ الطبقات الكبرى،
ط دار صادر ببيروت 1958م.
36. سيبويه: أبو بشر عمر ابن عثمان توفي 180هـ الكتاب، ط المطبعة الأميرية
ببولاق.
37. السيرافي: أبوسعيد الحسن ابن عبد الله توفي 368هـ أخبار النحويين البصريين
ط المطبعة الكاثوليكية ببيروت 1936م.
38. السيوطي: عبد الرحمن ابن أبي بكر توفي 911هـ
- الإتيان في علوم القرآن ط المكتبة الثقافية ببيروت 1973م.
- بغية اللغات في طبقات النحويين واللغات نشر دار المعرفة ببيروت.
39. ابن شاکر الكتبي: محمد ابن شاکر ابن احمد توفي 764هـ فوات الوفيات،
تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة ببيروت.
40. الشريف المرتضى على ابن الحسين توفي 436هـ آمالي المرتضى تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الكتاب العربي ببيروت 1967م.
41. شوقي ضيف: المدارس النحوية ط دار المعارف بمصر 1968م.
42. الطبري: محمد ابن جرير الطبري توفي 310هـ
- تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط دار المعارف بمصر.
- جامع البيان في تفسير القرآن ببيروت 1978م.
43. الطرماح ابن حكيم الطائي: ديوانه تحقيق عزت حسن، ط وزارة الثقافة بدمشق
1968م.
44. ابن عبدربه: احمد ابن محمد توفي 328هـ العقد الفريد، ط لجنة التأليف
والترجمة والنشر بالقاهرة.

46. عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ط دار القلم بالقاهرة 1966م.
47. ابن عساكر: أبو القاسم علي ابن الحسن ابن عبد الله 571هـ - تاريخ مدينة دمشق المجلد الأولى تحقيق صلاح المنجد، ط المجمع العلمي العربي دمشق 1951م.
- تهذيب تاريخ ابن عساكر، ط دار المسيرة ببيروت 1979م.
48. ابن عقيل: عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني توفي 769هـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط دار السعادة بمصر 1961م.
49. أبو علي الفارسي: حسن ابن احمد توفي 377هـ الحجة في علل القراءات، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحلیم النجار، وعبد الفتاح سلمي ط دار القاهرة.
50. ابن القاصح: علي ابن عثما ابن علي ابن احمد، سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي في شرح حفظ الأمانى العلوية علي منظومة القاسم ابن فيرة ابن خلف ابن احمد الشاطبي، تحقيق احمد القادري، دار سعد الدين دمشق، ط1، 1994م.
51. عيسى محمد بن عيسى بن وسرة، سنن الترمزي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، القاهرة.
52. القيسي: أبو محمد مكي ابن أبي طالب القيسي توفي 437هـ - الكشف عن وجوه القراءات السبعة وعللها وحججها تحقيق محي الدين رمضان، ط مجمع اللغة العربية بدمشق.
- مشكل إعراب القرآن تحقيق ياسين محمد السواس، ط مجمع اللغة العربية 1974م.
53. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل ابن عمرو توفي 774هـ - البداية والنهاية في التاريخ، ط مكتبة المعرف ببيروت 1966م.

- سيرة عمر بن عبد العزيز تقديم وتعليق احمد الشرباصي، ط الدار القومية للنشر والطباعة بالقاهرة، ط الثالثة.

54. المتنبىء: احمد ابن الحسن الجعفي توفي 354هـ ديوانه شرح الواحدي، ط برلين 1861م.

55. ابن مجاهد: أبو بكر احمد ابن موسى توفي 324هـ كتاب السبع في القراءات تحقيق شوقي.

56. المسعودي: ابو الحسن علي ابن الحسين توفي 346هـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط4 مطبعة السعادة بمصر.

57. ابن منظور: محمد ابن مكرم الأنصاري توفي 711هـ لسان العرب، ط المطبعة الأميرية ببولاق.

58. ابن المنير الاسكندري: احمد ابن محمد توفي 683هـ كتاب الإنصاف في ما تضمنه الكشف من الاعتزال على هامش الكشف، ط دار المعرفة ببيروت.

59. ابن النديم: محمد ابن اسحق توفي 385هـ الفهرست، ط دار المعرفة ببيروت.

60. النعيمي محي الدين توفي 927هـ قضاة دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد ط دمشق.

61. الواقدي محمد ابن عمر توفي 207هـ فتوح الشام، ط دار الجيل ببيروت.

62. ياقوت: أبو عبد الله ياقوت الرومي الحموي توفي 626هـ معجم البلدان، ط دار صادر ببيروت 1977م.